

موعظة الإمام الأوزاعي إلى الخليفة المنصور

د. يوسف محمد صديق

المقدمة

الحمد لله الكريم المنان، خالق الأولين والآخرين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث لكافة الثقلين هادياً ومبشراً ونذيراً وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد فإن لوعظ العلماء - الزهاد العباد، ولكلماتهم - وقع على نفس المحبين لأهل السنة والجماعة، والعلماء - قديماً وحديثاً - يشربون بها حديثهم ويملحون بها مؤلفاتهم في التفسير والحديث والفقه، ويعيدون النظر في الوعاظ الذين لا يحملونها.

وقد من الله على بإفراد (رسالة الحسن البصري) (لعمر بن عبدالعزيز) (ونصيحة الإمام أبي حنيفة ليوسف بن خالد السمن) واليوم أتشرف بإفراد (موعظة الأوزاعي للخليفة المنصور).

وأسأله تعالى أن تجد من إخواني وطلابي وعامة محبي، كل قبول وترحاب كسابقتها، وأرجو أن تصلني توجيهاتهم، فقد أتي الله أن يتم لإكتابه العزيز فقط.

التعريف بموعظة الأوزاعي

رسالة نافعة مختصرة، تقع في عشر صفحات تقريباً، وهي مبثوثة في كتب التراجم المطولة، ولا أعلم أنها أفردت، ولا تَمُكُن الاستفادة منها إلا بإفرادها وجعلها في كُتُب صغيرة، يمكن القارئ المتوسط في ثقافته، من مطالعتها، فإن المطولات من كتب التاريخ والتراجم يصعب اقتناؤها كما لا تسهل مطالعتها.

فرايت أن أستلها من كتاب (مجلسه الأولياء وخطبات الأصفياء) لأبي نعيم. ثم قمت بالتعليق والشرح، وتعزيزها بما يبين الغامض، أو يؤكد قاعدة. والموعظة نافعة للولاة والقضاة، ومن له رياسة على غيره، ولطالب العلم، ولكل مُجِبِّ لأهل السنة والجماعة.

أبو عمرو الأوزاعي^(١)

ومنهم العلم المنشور، والحكم المشهور، الإمام المبجل، والمقدام المفضل، عبدالرحمن بن عمرو أبو عمرو الأوزاعي. رضي الله تعالى عنه. كان واحد زمانه، وإمام عصره وأوانه، كان ممن لا يخاف في الله لومة لائم، مقوالا بالحق لا يخاف سطوة العظماء^(٢).

* حدثنا^(٣) إبراهيم بن عبدالله، ثنا محمد بن إسحاق بن إبراهيم، ثنا سلم^(٤) بن جنادة، ثنا أبو سعيد الثعلبي. قال: لما خرج إبراهيم^(٥) ومحمد^(٦) على أبي جعفر

(١) طبقات ابن سعد: ٤٨٨/٧، طبقات خليفة: ٣١٥-٣١٦، تاريخ خليفة: ٤٢٨، التاريخ الكبير: ٥/٣٢٦، التاريخ الصغير: ١٢٤/٢، المعرفة والتاريخ: ٢/٣٩٠-٣٩٧، ٤٠٨-٤١٠، الجرح والتعديل: ١/١٨٤-٢١٩، ٥/٢٦٦-٢٦٧، مشاهير علماء الأمصار: ١٨٠، حلية الأولياء: ٦/١٣٥-١٤٩، الفهرست: المقالة السادسة الفن السادس، تاريخ ابن عساکر: خ: ١٠/٣٤/آ، وفيات الأعيان: ٣/١٢٧-١٢٨، تهذيب الكمال: خ: ٨٠٨-٨٠٩، تهذيب التهذيب: خ: ٢/٢٢٠-٢٢٣، تاريخ الإسلام: ٦/٢٢٥-٢٣٨، تذكرة الحفاظ: ١/١٧٨-١٨٥، ميزان الاعتدال: ٢/٥٨٠، عبر الذهبي: ١/٢٢٦-٢٢٧، البداية والنهاية: ١٠/١١٥-١٢٠، تهذيب التهذيب: ٦/٢٣٨-٢٤٢، طبقات الحفاظ: ٧٩، خلاصة تهذيب الكمال: ٢٣٢، شذرات الذهب: ١/٢٤١-٢٤٢.

(٢) هذا الكلام للحافظ أبي نعيم الأصبهاني أحمد بن عبدالله المتوفى سنة ٤٣٠هـ - من كتابه (حلية الأولياء وطبقات الأصفياء) ٦/١٣٥.

(٣) القائل هو أبو نعم.

(٤) هكذا في رسم القدامى، وفي رسمنا (سالم) هكذا - وهو: سالم بن جنادة - بفتح الجيم - السوائي أبو السائب الكوفي، ثقة، ربا يخالف، من العاشرة، قاله في (تقريب التهذيب) ١/٣١٣، وانظر المغنى ١/٣٩٣.

(٥)، (٦) قامت حركة مضادة للخليفة المنصور يقودها محمد بن عبدالله بن حسن بن علي بن أبي طالب، وأخوه إبراهيم بن عبدالله الذي خرج من البصرة يريدون الإصلاح وهي حلقة من ثورات الطالبين على بني أمية وبني العباس - وهي حركة محمد النفس الزكية ولد سنة ٩٣هـ ، انظر الحلية لأبي نعيم ٤/٤٣٨.

المنصور^(٧) أراد أهل الثغور أن يعينوه^(٨) عليهما فأبوا^(٩) ذلك، فوقع في يد ملك الروم^(١٠) الألو ف من المسلمين أسرى^(١١) وكان ملك الروم يحب أن يفادي بهم، وبأبي أبو جعفر - فكتب الأوزاعي إلى أبي جعفر كتاباً: أما بعد^(١٢) فإن الله تعالى

(٧) أبو جعفر المنصور (٩٥-١٥٨ هـ) هو عبد الله بن محمد بن علي بن العباس، أبو جعفر، المنصور، ثاني خلفاء بني العباس، وأول من عني بالعلوم من ملوك العرب، كان عارفاً بالفقه والأدب، مقدماً في الفلسفة والفلك، محباً للعلماء. ولد في (الحميصة) من أرض الشراه، وولي الخلافة بعد أخيه السفاح سنة ١٣٦ هـ، وهو باني مدينة بغداد، أمر بتخطيطها سنة ١٤٥ هـ، ومن آثاره زيادة المسجد الحرام. وفي أيامه شرع العرب يطلبون علوم اليونان والفرس. كان بعيداً عن اللهو والعبث، كثير الجد والتفكير، وله تواقيع غاية في البلاغة، وهو والد الخلفاء العباسيين جميعاً، وكان أفحلهم شجاعة وحزماً.

توفي ببئر ميمون من أرض مكة، محرماً بالحج، ودفن في الحجون بمكة، ومدة خلافته ٢٢ عاماً. كان المنصور أسمى، نخيفاً، طويل القامة، خفيف العارضين، معرق الوجه، رطب اللحية، ومما كتب في سيرته (أخبار المنصور) لعمر بن شبة النميري.

وانظر ترجمته في ابن الأثير، ١٧٢/٥، والطبري، وتاريخ بغداد ١٠/٥٣، وفوات الوفيات ١/٢٣٢ والنجوم الزاهرة ٢/١٣٣، وتهذيب التهذيب ٦/٩، والأعلام ٤/١١٧ - ومن رصين شعره:

المرء يأمل أن يعيش وطول عيش قد يضره
تبلى بشاشته وبقي بعد حلو العيش مره
وتخونه الأيام حتى لا يرى شيئاً يسره
كم شامت لي أن هلكت وقائل لله دره

(٨) أي بعد أن حمل عليه إبراهيم ومحمد السلاح، وخرجاً على الإمام، أراد بالإعاقة، عدم الانضمام للخارجين، والبقاء على البيعة الشرعية.

(٩) أي تمردوا ولم يستجيبوا.

(١٠) أهل الثغور أي الحرب.

(١١) ملك الروم الذي أسره.

(١٢) أول موعظة الأوزاعي العالم العارف العابد، لإمام عادل مجاهد منصف محب للخير، فخرجت من قلب صادق حكيم، ليتلقاها إدراك ووعي بشغف يخاطله الخوف والورع.

ودعوة العالم الحاكم وغيره وموعظته يجب أن تصدرها بالقرآن، أو بكلام رسول الله ﷺ، وقد أشار الإمام الأوزاعي إلى ذلك يظهر في قوله (لتكون فيها بالقسط).

وقد وردت أحاديث كثيرة بهذه الموعظة على لسان رسول الله ﷺ من ذلك:

١ - «المقسطون عند الله تعالى على منابر من نوره» رواه مسلم، كتاب الإمامة، باب ١٨، ورواه النسائي،

كتاب آداب القضاة - باب ١ -، ورواه أحمد في مسنده ٢/١٦٠ ولفظ أحمد:

(إن المقسطين في الدنيا على منابر من لؤلؤ يوم القيامة، بين يدي الرحمن عز وجل، يا أقسطوا في الدنيا). =

استرعاك أمر هذه الأمة لتكون فيها بالقسط قائماً، وبنبيّه ﷺ في خفض الجناح^(١٣) والرافة متشبهها، وأسأل الله تعالى أن يسكنَ على أمير المؤمنين دهماً هذه الأمة، ويرزقه رحمته، فإن سايحة المشركين غلبت عام أول، وموطؤهم حريم المسلمين، واستزالمهم العواتق والذراري من المعازل والحصون، وكان ذلك بذنوب العباد^(١٤) وما عفا الله عنه أكثر، فبذنوب العباد استزلت العواتق والذراري من المعازل والحصون، لا يلقون لهم ناصراً، ولا عنهم مدافعاً، كاشفات عن رؤوسهن وأقدامهن، فكان ذلك بمرأى ومسمع، وحيث ينظر الله إلى خلقه، وإعراضهم عنه، فليقت الله أمير المؤمنين، وليتبع بالمفادات بهم من الله سبيلاً، وليخرج من محجة الله تعالى فإن الله تعالى قال لنبيه: ﴿وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان

(١٣) خفض الجناح للمؤمنين لا لغيرهم.

قال في الظلال: قال تعالى: ﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾ فهو اللين والتواضع، والرفق في صورة حسية مجسمة صورة خفض الجناح، كما يخفض الطائر جناحه، حين يهبط بالهبوط. وكذلك كان رسول الله ﷺ مع المؤمنين طوال حياته. انتهى المقصود من كلام الإمام سيد قطب، وانظر الظلال ص ٢٦٢٠

(١٤) من آثار الذنوب والمعاصي:

قال ابن القيم في كتابه «الفوائد» في بيان آثار الذنوب. وقد عدّ رحمه الله تعالى في كتابه النافع العُجاب «الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي» آثار فعل الذنوب والمعاصي على فاعلها. واستوفاهما أثراً أثراً بالشرح والبيان والدليل والتوجيه، في أكثر من مئة صفحة من ص ٥٢ - ١٦٦. وأنا أنقل لك جملة من عناوين آثارها، قال رحمه الله تعالى: «وللمعاصي من الآثار القبيحة المذمومة الضّيرة بالقلب والبدن في الدنيا والآخرة: ما لا يعلمه إلا الله.

منها: جرمَانُ العلم والرزق. وحصول الوحشة بين العاصي وبين الله، وبينه وبين الخلق، وتعسيرُ أموره، وظلمة القلب والوجه والقبر، ووهن القلب والبدن. وجرمَانُ الطاعة. ومحقُّ العمر، وأنها تَرْجُ أمثالها. ويؤلِّد بعضها بعضاً، وتضعِفُ إرادة القلب وإنابته إلى الله، ويَزُولُ بها عن القلب استقباحُ الذنوب! . وهي سببُ هوانِ العبد على الله. وتُحِقُّ ضررهَ غيره من الآدميين والحيوانات، وتُورَثُ الذل، وتُفْسِدُ العقل، وتُطْغِي على قلب صاحبها، وتُدْخِلُهُ تحت لعنة رسول الله ﷺ، وتُحَرِّمُهُ الدخولَ في أدعيته ﷺ وأدعية الملائكة لمن امتثل أمر الله وأتبع كتاب الله وسنة رسوله.

لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً ﴿ الآية ، والله يا أمير المؤمنين ما لهم يومئذ فيء ^(١٥)

(١٥) النبي معناه وأحكامه.

قال في الظلال ص ٣٥٢٣

فأما المقطع الثاني في السورة فيقرر حكم النبي الذي أفاءه الله على رسوله في هذه الواقعة وفيما يائنها ، مما لم يتكلف فيه المسلمون غزواً ولا قتالاً .. أي الوقائع التي تولتها يد الله جهرة ومباشرة وبدون ستار من الخلق كهذه الواقعة.

﴿وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب. ولكن الله يسلط رسله على من يشاء، والله على كل شيء قدير. ما أفاء الله على رسوله من أهله القرى لله وللرسول ولذي القربى واليتامي والمساكين وابن السبيل. كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم. وما آتاكم الرسول فخذوه. وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله، إن الله شديد العقاب. للفقراء المهاجرين الذين إخرجوا من ديارهم وأموالهم، يبتغون فضلاً من الله ورضواناً، وينصرون الله ورسوله، أولئك هم الصادقون. والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم، ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة. ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون. والذين جاءوا من بعدهم يقولون: ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا. ربنا إنك رؤوف رحيم﴾ ..

وهذه الآيات التي تبين حكم الله في هذا النبي وأمثاله، تحوي في الوقت ذاته وصفاً لأحوال الجماعة المسلمة في حينها، كما تقرر طبيعة الأمة المسلمة على توالي العصور، وخصائصها المميزة التي تترابط بها وتتماسك على مدار الزمان، لا ينفصل فيها جيل عن جيل، ولا قوم عن قوم، ولا نفس عن نفس، في الزمن المتطاوّل بين أجيالها المتعاقبة في جميع بقاع الأرض، وهي حقيقة ضخمة كبيرة ينبغي الوقوف أمامها طويلاً في تدبر عميق ..

﴿وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب، ولكن الله يسلط رسله على من يشاء، والله على كل شيء قدير﴾ .

والإيجاف: الركض والإسراع، والركاب: الجبال، والآية تذكر المسلمين أن هذا النبي الذي خلفه وراءهم بنو النضير لم يركضوا هم عليه خيلاً، ولم يسرعوا إليه ركباً، فحكمه ليس حكم الغنيمة التي أعطاهم الله أربعة أخماسها، واستبقى خمسها فقط لله والرسول ولذي القربى واليتامي والمساكين وابن السبيل، كما حكم الله في غنائم بدر الكبرى، إنا حكم هذا النبي أنه كله لله والرسول ولذي القربى واليتامي والمساكين وابن السبيل، والرسول ﷺ هو الذي يتصرف فيه كله في هذه الوجوه.

موقوف^(١٦)، ولازمة تؤدي خراجا، إلا خاصة أموالهم، وقد بلغني عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إني لأسمع بكاء الصبي خلني في الصلاة فأعجز فيها، مخافة أن تفتن أمه^(١٧)، فكيف بتخليتهم يا أمير المؤمنين^(١٨) في أيدي عدوهم، يمتنونهم ويتكشفون منهم مالا نستحله نحن إلا بنكاح؟ وأنت راعي الله^(١٩)، والله تعالى فوقك، ومستوف منك، يوم توضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسين» الآية.

(١٦) الوقف: لغة الحبس. يقال: وقفت كذا، أي حبسته. وفي الاصطلاح الشرعي: هو حبس مال يمكن الانتفاع به، مع بقاء عينه، بقطع التصرف في رقبته على مصرف مباح. وفي حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مات ابن آدم انقطع عنه عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له، لفظ مسلم في كتاب الزهد رقم ٢٢٧٣ / ٤ ٢٩٦٠ ورواه البخاري في كتاب الرقاق، باب سكرات الموت حديث رقم (٦٥١٤) فتح الباري ١١ / ٣٦٢ بلفظ:

«يتبع الميت ثلاثة، فيرجع اثنان ويبقى معه واحد، يتبعه أهله وماله وعمله، فيرجع أهله وماله، ويبقى عمله». وحاجة الفقراء إلى ريع الوقف في يومنا هذا، شديدة وأوضاع المحتاجين في غاية السوء، فقد كثرت الفقراء وليس هناك مؤسسات قوية تقوم على حوائجهم بصورة قريبة من المثالية، وقد كان الوقف في السابق يحمل أزماتهم ويقوم على أعوازهم، وبعد أن احتوت الحاكمية الوقف أصبحت جدواه قليلة جدا مع عسر وشدة في كثير من بلاد المسلمين، إلا القليل الذي تلمسه في أوقاف الحرمين الشريفين حياهما الله من كل سوء وشرفهما وزادهما تشريفا.

(١٧) حديث: «إني لأسمع بكاء الصبي خلني في الصلاة فأعجز فيها» تخريجه: أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب ٦٥، ١٦٣، ومسلم، كتاب الصلاة، حديث رقم ١٩١، ١٩٣، وأبو داود، كتاب الصلاة باب ١٢٣، والترمذي، كتاب الصلاة، باب ١٥٩، والنسائي، كتاب الإمامة، باب ٣٥، وابن ماجه، كتاب الإقامة، باب ٤٩، وأحمد في مسنده ١٠٩ / ٣، ١٥٣، ١٥٦، ١٨٢.

(١٨) وهذا التوجيه من الإمام الأوزاعي يسري على حكامنا اليوم، نسأل الله عز وجل أن يوحد صفهم ويلم شعنتهم ويجمع كلمتهم، وقد بدأت بوادر طيبة في الاتحادات الإسلامية وعربية بين الدول، ويجب أن تقابل بكل ترحيب وتأييد ودعم حتى يجتمع كل المسلمين تحت راية لا إله إلا الله محمد رسول الله. (١٩) المهمة الأساسية للوالي على المسلمين تنحصر في حراسة الدين أولاً ثم سياسة الناس بذكر الدين.

فلما وصل إليه كتابه أمر بالفداء (٢٠).

(٢٠) قاعدة عظيمة وكلام نفيس للجصاص وسيد قطب حول :

(معاملة الأسرى والفداء)، الظلال ص ٣٢٨٥.

وعن أبي موسى أنه قتل دهقان السوس بعدما أعطاه الأمان على قوم سماهم ونسي نفسه فلم يدخلها في الأمان فقتله. فهذه آثار متواترة عن النبي ﷺ وعن الصحابة في جواز قتل الأسير وفي استبقائه. واتفق فقهاء الأمصار على ذلك (وجواز القتل لا يؤخذ من الآية، ولكن يؤخذ من عمل رسول الله ﷺ وبعض الصحابة، وتتبع الحالات التي وقع فيها القتل يعطي أنها حالات خاصة، وراها أسباب معينة، غير مجرد التعرض للقتال والأسر، فالتضرع بالحارث وعقبة بن أبي معيط كلاهما كان له موقف خاص في إيذاء رسول الله ﷺ وإيذاء دعوته. وكذلك أبو عزة الشاعر، ولبنى قرينة كذلك موقف خاص بارتضايتهم حكم سعد بن معاذ سلفاً. وهكذا تجد في جميع الحالات أسباباً معينة تفرد هذه الحالات من الحكم العام للأسرى الذي تقررره الآية: ﴿فَإِذَا مَنَّ اللَّهُ عَلَىٰ عَبْدٍ مَّا يَشَاءُ﴾.

وإنما اختلفوا في فدائه، فقال أصحابنا جميعاً (يعني الحنفية): لا يفادي الأسير بالمال، ولا يباع السي من أهل الحرب فيردوا حرباً. وقال أبو حنيفة: لا يفادون بأسرى المسلمين أيضاً، ولا يردون حرباً أبداً. وقال أبو يوسف ومحمد: لا بأس أن يفادي أسرى المسلمين بأسرى المشركين. وهو قول الثوري والأوزاعي، وقال الأوزاعي: لا بأس ببيع السي من أهل الحرب، ولا يباع الرجال إلا أن يفادي بهم المسلمون. وقال المزني عن الشافعي: للإمام أن يمن على الرجال الذين ظهر عليهم أو يفادي بهم، فاما المجزيون للفداء بأسرى المسلمين وبالمال فإنهم احتجوا بقوله: ﴿فَإِذَا مَنَّ اللَّهُ عَلَىٰ عَبْدٍ مَّا يَشَاءُ﴾ وظاهره يقتضي جوازه بالمال وبالمسلمين، وبأن النبي ﷺ فدى أسارى بدر بالمال. ويحتجون للفداء بالمسلمين بما روى ابن المبارك، عن معمر، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن أبي المهلب، عن عمران ابن حصين. قال: أسرت ثقيف رجلين من أصحاب النبي ﷺ وأسرا أصحاب النبي ﷺ رجلاً من بني عامر ابن صعصعة، فمر به النبي ﷺ وهو موتق، فناداه، فأقبل إليه رسول الله ﷺ فقال: علام أحبس؟ قال: «بجيرة حلفائك». فقال الأسير: إني مسلم، فقال النبي ﷺ: «لو قتلها وأنت تملك امرك لأفلمت كل الفلاح». ثم مضى رسول الله ﷺ فناداه أيضاً، فأقبل، فقال: إني جائع فأطعمني. فقال النبي ﷺ: «هذه حاجتك». ثم إن النبي ﷺ فداء بالرجلين اللذين كانت ثقيف أسرتهما... (وحجة القائلين بالفداء أرجح في تقديرنا من حجة أصحاب الإمام الجصاص على الاختلاف في الفداء بالمال أو بأسرى المسلمين).

وقد ختم الإمام الجصاص القول في المسألة بترجيح رأي أصحابه الحنفية قال: وأما ما في الآية من ذكر المن والفداء، وما روي في أسارى بدر فإن ذلك منسوخ بقوله: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخَنَؤُهُمْ وَأَحْصِرُوا هُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾... وقد رويناه ذلك عن السدي وابن جريج. وقوله تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ إلى قوله: ﴿حَتَّىٰ يَعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدِهِمْ صَاحِرُونَ﴾. فتضمنت الآيتان وجوب القتال للكفار حتى

يسلموا أو يؤدوا الجزية. والفداء بالمال أو بغيره يتنافى ذلك. ولم يختلف أهل التفسير ونقله الآثار أن سورة «براءة» بعد سورة «محمد» - ﷺ - فوجب أن يكون الحكم المذكور فيها ناسخاً للفداء المذكور في غيرها... (وقد سبق القول بأن هذا القتل للمشركين - أول الإسلام - مقصود به مشركو الجزيرة، فهو حكم خاص بهم. أما غيرهم خارجها فتقبل منهم الجزية من أهل الكتاب. وقبل الجزية عند التسليم لا ينبغي أن يقع الأسرى في أيدي المسلمين قبل التسليم. فهؤلاء الأسرى ما الحكم فيهم؟ نقول: إنه يجوز المن عليهم إذا رأى الإمام المصلحة، أو الفداء بهم بالمال أو بالمسلمين، إذا ظل قومهم قوة لم تستسلم بعد ولم تقبل الجزية. فأما عند الاستسلام للجزية فالأمر متته بطبيعته، وهذه حالة أخرى، فحكم الأسرى يظل سارياً في الحالة التي لم تنته بالجزية).

والخلاصة التي تنتهي إليها أن هذا النص هو الوحيد المتضمن حكم الأسرى. وسائر النصوص تتضمن حالات أخرى غير حالة الأسر. وأنه هو الأصل الدائم للمسألة. وما وقع بالفعل خارجاً عنه كان لمواجهة حالات خاصة وأوضاع وقتية. فقتل بعض الأسرى كان في حالات فردية، يمكن أن يكون لها دائماً نظائر، وقد أخذوا بأعمال سابقة على الأسر. لا بمجرد خروجهم للقتال. ومثال ذلك أن يقع جاسوس أسيراً فيحكم على الجاسوسية لا على أنه أسير. وإنما كان الأسر مجرد وسيلة للقبض عليه.

ويبقى الاسترقاق. وقد سبق لنا في مواضع مختلفة من هذه الظلال القول بأنه كان لمواجهة أوضاع عالمية قائمة، وتقاليد في الحرب عامة، ولم يكن ممكناً أن يطبق الإسلام في جميع الحالات النص العام: ﴿فَإِذَا مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَبَدَأَ فَتَحَ لِلدِّينِ أَلْوَافَافًا﴾. في الوقت الذي يسترق أعداء الإسلام من بأسروهم من المسلمين. ومن ثم طبقه الرسول ﷺ في بعض الحالات فأطلق بعض الأسارى منّا. وفادى ببعضهم أسرى المسلمين، وفادى بعضهم بالمال. وفي حالات أخرى وقع الاسترقاق لمواجهة حالات قائمة لاتعالج بغير هذا الإجراء. فإذا حدث أن اتفقت المعسكرات كلها على عدم استرقاق الأسرى، فإن الإسلام يرجع حينئذ إلى قاعدته الإيجابية الوحيدة وهي: ﴿فَإِذَا مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَبَدَأَ فَتَحَ لِلدِّينِ أَلْوَافَافًا﴾ لانقضاء الأوضاع التي كانت تقضي بالاسترقاق، فليس الاسترقاق حتمياً، وليس قاعدة من قواعد معاملة الأسرى في الإسلام.

وهذا هو الرأي الذي نستوحيه من النص القرآني الحاسم، ومن دراسة الأحوال والأوضاع والأحداث. والله الموفق للصواب.

ويحسن أن يكون مفهوماً أنني أجنح إلى هذا الرأي لأن النصوص القرآنية واستقراء الحوادث وظروفها يؤيده، لا لأنه يهيج في خاطري أن استرقاق الأسرى تهمة أحاول أن أبرئ الإسلام منها! إن مثل هذا الخاطر لا يهيج في نفسي أبداً. فلو كان الإسلام رأى هذا لكان هو الخير، لأنه مامن إنسان يعرف شيئاً من الأدب يملك أن يقول: إنه يرى خيراً مما يرى الله. إنها أنا أسير مع نص القرآن وروحه، فأجنح إلى ذلك الرأي بإيجاء النص واتجاهه.

وذلك... - أي القتال وضرب الرقاب وشد الوثاق واتباع هذه القاعدة في الأسرى - ﴿حتى تضع

حدثنا سليمان^(٢١) بن أحمد، ثنا أحمد بن يزيد الحوطي - فيما أرى - ثنا محمد بن مصعب القرقساني^(٢٢)، ح. وحدثنا^(٢٣) عبد الله بن محمد بن عثمان الواسطي - واللفظ له - ، ثنا محمد بن محمد سليمان ومحمد بن مخلد قالا : ثنا أحمد بن عبيد بن ناصح ، حدثني محمد بن مصعب القرقساني ، قال : حدثني الأوزاعي . قال : بعث إلي أبو جعفر - أمير المؤمنين - وأنا بالساحل فأتيته ، فلما وصلت إليه وسلمت عليه بالخلافة^(٢٤) ، رد علي

الحرب أوزارها... أي حتى تنتهي الحرب بين الإسلام وأعدائه المتأولين له. فهي القاعدة الكلية الدائمة. ذلك أن الجهاد ماض إلى يوم القيامة كما يقول رسول الله ﷺ حتى تكون كلمة الله هي العليا.

(٢١)، (٢٢) القائل : (حدثنا) هو الحافظ أبو نعيم الأصبهاني. (٢٣) محمد بن مصعب القرقساني - هكذا ضبطه الذهبي في المغني ٢/ ٢٦٦ - بكسر القافين. وقال محققه العلامة د. نور الدين عتر حفظه وأطال في عمره وأبقاه خادماً للعلم : (القرقاني ضبط في اللباب بفتح القافين). وانظر التقريب ٢ / ٢٠٨ ، والميزان ٤ /

(٢٤) آداب العالم عند دخوله على الحاكم ، وعقيدة أهل السنة في ذلك : إشعار العالم للحاكم بالاحترام والسمع والطاعة ، دون مقدمة تشعربالنفاق ، وهو مذهب أهل السنة والجماعة ، وحق من حقوق الإمام الحاكم يشرع الله تبارك وتعالى ، فإن طاعته قرينة وعبادة ، إن كانت في غير معصية لعموم قوله تعالى : ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ . النساء : ٥٩

وفي الطحاوية وشرحها ص ٤٢٨ قوله : (ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا ، وإن جاروا ، ولا ندعوا عليهم ، ولا نتزع يداً من طاعتهم ، ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل فريضة ، مالم يأمرُوا بمعصية ، وندعوهم بالصلاح والمعافة).

قال تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ النساء : ٥٩ . وفي «الصحيح» عن النبي ﷺ ، أنه قال : «من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن عصاني فقد عصى الله ، ومن يطع الأمير فقد أطاعني : ومن يعص الأمير فقد عصاني» .

وعن أبي ذر رضي الله عنه ، قال : إن خليلي أوصاني أن أسمع وأطيع وإن كان عبداً حبشياً مجذع الأظراف . وعند البخاري : «ولو لحبشي كأن رأسه زبيبة» . وفي «الصحيحين» أيضاً : «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره ، إلا أن يؤمر بمعصية ، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة» . وعن حذيفة بن اليمان قال : كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر ، مخافة أن يدركني ، فقلت : يا رسول الله ﷺ ، إنا كنا في جاهلية وشر ، فجاءنا الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال : «نعم» ، فقلت : هل بعد ذلك الشر من خير قال : «نعم ، وفيه دخن» ، قال : قلت : وما دخنه ؟ قال : «قوم يستنون بغير سستي ، ويهتدون بغير هديسي ، تعرف منهم وتنكر» فقلت : هل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال : «نعم : دعاة على أبواب جهنم . من أجابهم إليها قذفوه فيها» فقلت : يا رسول الله ،

صيفهم لنا؟ قال: «نعم، قوم من جلدتنا: يتكلمون بألسنتنا»، قلت: يا رسول الله، فما ترى إذا أدركني ذلك؟ قال: «تلقم جماعة المسلمين، وإمامهم..» فقلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: «فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض على أصل شجرة، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك». وعن ابن عباس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر، فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات، فميتته جاهلية». وفي رواية: «فقد خلع ربة الإسلام من عنقه». وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا بويع لحليفين فاقتلوا الآخر منهما». وعن عوف بن مالك رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ، قال: «خيار أئمتكم الذين يحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم»، فقلنا: يا رسول الله، أفلا نناذبهم بالسيف عند ذلك؟ قال: «لا، ما أقاموا فيكم الصلاة ألا من ولي عليه وال، فراه يأني شيئا من معصية الله، - فليكره ما يأني من معصية الله -، ولا يزعزع يداً من طاعته».

ولثل هؤلاء فاصحب، ولآثارهم فاتبع، وبأخلاقهم فتأدب، فهؤلاء الكثر المأمون. فقد جاء في الحديث الذي رواه مسلم في «صحيحه» ١٧: ١٤ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن لله ملائكة سيارة يطوفون في الأرض، فإذا صعدوا إلى السماء سألهم الله تعالى وهو أعلم بهم: من أين جئتم؟ فيقولون: جئنا من عند عباد لك في الأرض، يُسَبِّحُونَكَ، وَيُكَبِّرُونَكَ، وَيُهَلِّلُونَكَ، وَيُحَمِّدُونَكَ وَيَسْأَلُونَكَ، ويستغفرونك، فيقول: قد غفرت لهم، وأعطيتهم ما سألوا، وأجرتهم مما استجاروا، فيقولون: رب فيهم فلان عبد خطاء، إنا مررنا فجلس معهم، فيقول: وله غفرت، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم». ومن أجل هذا قال الشاعر الحكيم:

بِعِشْرَتِكَ الْكَرَامَ تُعَدُّ مِنْهُمْ فَلَا تُزَيِّنْ لِغَيْرِهِمْ أَلَوْفًا
ولشيخ شيوخنا العلامة الشيخ بشير الفزري الحلبي رحمه الله تعالى أبيات لطيفة: أصلها بالفارسية، فنظمها بالعربية، وزادها رقةً ودوقاً فقال على لسان «التراب الحليّة» المعروفة عند العامة باسم (بيلون بورد):

رَأَيْتُ الطَّيْنَ فِي الْحَامِ يَوْمًا	بَكَفَّ الْحَبِّ أَثَرُ نَمِ نَسَمِ
فَقُلْتُ لَهُ: أَيْسُوكَ أَمْ غَيْرِي؟	لَقَدْ صَيَّرْتَنِي بِالْحَبِّ مُقَرَّمِ
أَجَابَ الطَّيْنُ إِنِّي كُنْتُ تُزَيًّا	صَبَحْتُ الْوَرْدَ صَيَّرَنِي مُكْرَّمِ
أَفُتُّ أَكْبَرًا وَازْدَدْتُ عِلْمًا	كَذَا مِنْ عَاشَرَ الْعُلَمَاءِ يُكْرَمِ

واستجلسني ، ثم قال : ما الذي أبطأك عنايا أوزاعي ؟ قلت : وما الذي تريد يا أمير المؤمنين ؟ قال : أريد الأخذ عنكم والافتباس منكم ، قلت : يا أمير المؤمنين ، انظر ، ولا تجهل شيئاً مما أقول لك ، قال : وكيف أجهله وأنا أسألك عنه ، وقد وجهت فيه إليك وأقدمتك له ؟ قلت : أن تسمعه ولا تعمل به ، قال : فصاح^(٢٥) لي الربيع وأهوى بيده

وللأوزاعي فقه راجح خالف فيه فقهاء الأمصار ، وقوله راجح ، من ذلك : ما قاله له العباس بن الوليد : حدثنا أبو عبد الله بين فلان : سمعت الأوزاعي يقول : نتجنب من قول أهل العراق خمساً ، ومن قول أهل الحجاز خمساً . من قول أهل العراق : شرب المسكر ، والأكل عند الفجر في رمضان ، ولا جمعه إلا في سبعة أمصار ، وتأخير العصر حتى يكون ظل كل شيء أربعة أمثاله ، والفرار يوم الزحف . ومن قول أهل الحجاز : استماع الملاهي ، والجمع بين الصلاتين من غير عذر ، والمتعة بالنساء ، والدهرم بالدرهمين ، والدنيار بالدنيارين بدأ بيد ، وإتيان النساء من أدبارهن . انظر سير أعلام النبلاء ٩ / ١٢٦ . قال ابن القيم في « زاد المعاد » : ٤ / ٢٥٧ ، طبع مؤسسة الرسالة : ومن نسب إلى بعض السلف إباحة وطء الزوجة في دبرها فقد غلط عليه ، كيف وقد ورد في الباب غير ما حديث عنه عليه السلام في تحريم إتيان الرجل زوجته في دبرها ، فقد أخرج أحمد : ٢ / ٤٤٤ ، ٤٧٩ ، أبو داود : (٢١٦٢) ، من حديث أبي هريرة مرفوعاً : « ملعون من أتى المرأة في دبرها » ، وصحح البوصيري إسناده ، وله شاهد عن ابن عدي : ٢١١ - أ ، والطبراني في « الأوسط » كما في « المجمع » : ٤ / ٢٩٩ ، من حديث عقبة بن عامر ، وسنده حسن فيتقوى به ، وأخرجه أحمد : ٢ / ٢٧٧ ، ٣٤٤ ، وابن ماجه : (١٩٢٣) ، بلفظ : « لا ينظر الله إلى رجل جامع امرأته في دبرها » وله شاهد بسند حسن يتقوى به من حديث ابن عباس عند الترمذي ، وصححه ابن حبان : (١٣٠٢) . وفي لفظ للترمذي : (١٣٥) ، وأحمد : ٢ / ٤٠٨ ، ٤٧٦ ، ولني داود : (٣٩٠٤) ، وابن ماجه : (٦٩٣) ، والدارمي : ١ / ٢٥٩ : « من أتى حائضاً أو امرأة في دبرها ، أو كاهناً فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد عليه السلام » وسنده قوي . وأخرج الترمذي : (١١٦٤) ، والدارمي : ١ / ٢٦٠ ، عن علي بن طلق ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تأتوا النساء في أعجازهن فإن الله لا يستحي من الحق » . وحسنه الترمذي ، وصححه ابن حبان ، وله شاهد من حديث خزيمة بن ثابت ، أخرجه الشافعي : ٢ / ٣٦٠ ، وأحمد : ٢ / ٢١٣ ، والطحاوي : ٢ / ٢٥ ، وسنده صحيح .

(٢٥) إنها بطانة السوء :

الحديث . رواه البخاري ، كتاب القدر ، باب ٨ ورواه في كتاب الأحكام ، باب ٤٣ ، ورواه النسائي ، كتاب البيعة ٣٣ ، ورواه أحمد في المسند ٢ / ٢٨٩ .

قال البخاري : باب المعصوم من عصم الله ، عاصم : مانع .

حدثنا عبد الله ، أخبرنا يونس عن الزهري قال : حدثني أبو سلمة « عن أبي سعيد الخدري » عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ما استخلف خليفة إلا له بطانتان : بطانة تأمره بالخير وتحضه عليه ، وبطانة تأمره

إلى السيف، فانتهره المنصور وقال: هذا مجلس مثوبة لآعقوبة، فطابث نفسي،
وانبسطت في الكلام، فقلت: يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن عطية - يعني
ابن^(٢٦) بسر - قال: قال رسول الله ﷺ: «أما عبد جاءته موعظة من الله في دينه فإنها
نعمة من الله سقيت إليه، فإن قبلها بشكر، وإلا كانت حجة عليه من الله، ليزداد بها

بالشرّ ونحطه عليه، والمعصوم من عصم الله، فتح الباري ص / ٥٠١.
قال مجاهد: سُدًّا عن الحق: يتردّدون في الضلالة. دَسَّاءا: أغواها..
نخريج الحديث:

وفي كشف الخفاء: «الوحدة خير من جليس السوء، والجلس الصالح خير من الوحدة، وإملاء الخير
خير من الصمت، والصمت خير من إملاء الشر» رواه الحاكم وأبو الشيخ والعسكري عن أبي ذر رفعه،
والدليمي عن أبي هريرة، وعزاه في الآلء عن صدقة بن أبي عرمان بلفظ قال: رأيت أبا ذر فوجدته في
المسجد محتبياً بكساء أسود وحده، فقلت: يا أبا ذر، ما هذه الوحدة؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ
يقول: الوحدة خير من جليس السوء، والجلس الصالح خير من الوحدة، وعزاه فيها لأبي الشيخ عن
أبي ذر باللفظ المذكور، وزاد فيه وإملاء الخير من السكوت، والسكوت خير من إملاء الشر انتهى.
وثبت في صحيح البخاري وغيره لويعلم الناس ما في الوحدة ما أعلم ما سار راكب بليل وحده. وترجم
البخاري بقوله العزلة راحة من خلاط السوء. وذكر حديث أبي سعيد يرفعه ورجل في شعب من الشعاب
يعبد ربه ويدع الناس من شره. وفي لفظ يأتي على الناس زمان خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال
ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن. وثبت حديث المؤمن الذي يخاط الناس ويصبر على أذاهم خير من
الذي لا يخاطهم ولا يصبر على أذاهم. وما أحسن ما قيل:

وأدبني الزمان فلا أبالي هُجرتُ فلا أزار ولا أزور
ولست بسائل مادمت يوماً أسار الجيش أم قدم الأمير

(وجدت الناس أخْبَرْتُ قَلَّةً) قال في الآلء رواه ابن عدى في الكامل عن أبي الدرداء، وفي سننه لكن له
شواهد: منها الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة، وتقله بكسر اللام وفتحها من قلاه وقلبه والهاء
للسكت، والمعنى كما في الفائق: علمت الناس مقولاً فيهم هذا القول، أي ما فيهم أحد إلا وهو مسخوط
الفعل عند الاختبار.

(٢٦) عطية بن بسر - المازري أخو عبدالله بن بسر - صحابي صغير، روى له أبو داود في سننه وابن ماجه.
انظر التقريب ٢ / ٢٤

(٢٧) ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين ٢ / ٣٤٢.

قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» ١٠: ٤٢٨ ما خلاصته: القَرْنُ بين المداراة والمداينة: أنَّ المداراة
هي خَفَضُ الجَنَاحِ للناس، والرفقُ بالجاهل في التعليم، وبالفاسق في النهي عن فعله، وتَرْكُ الإغلاطِ عليه

إنها، ويزداد الله بها عليه سخطاً»^(٢٧) يأمر المؤمنين حديثي مكحول عن عطية بن بسر، قال: قال رسول الله ﷺ: «أيا وال بات غاشاً لرعيته حرم الله عليه الجنة»^(٢٨) يأمر المؤمنين، من

حيث لا يظهر ما هو فيه، والإنكار عليه بلطف القول والفعل، ولاسيا إذا احتيج إلى تأليفه. وهي من أخلاق المؤمنين ومندوب إليها.

والمداهنة - وهي مأخوذة من الدهان، وهو الذي يظهر على الشيء ويستتر بطنه - معاشرتة الفاسق وإظهار الرضا بما هو فيه من غير إنكار عليه، وهي محرمة منهي عنها. انتهى.

وقيل في الفرق بين المداراة والمداهنة أيضاً: إن المداراة هي بذل الدنيا لصالح الدين أو الدين أو صلاحها جميعاً. والمداهنة هي بذل الدين لصالح الدنيا.

وقال الإمام ابن القيم في الفرق بين المداراة والمداهنة في كتاب «الروح» ص ٢٨١. ونقله الحافظ البقاعي في مختصره «سير الروح» ص ٢٣ ولخصه بقوله: «والفرق بين المداراة والمداهنة: أن المداراة: التلطف بالإنسان لتستخرج منه الحق، أو ترذلة عن الباطل. والمداهنة: التلطف به لتقره على باطله، وتتركه على هواه، فالمداراة لأهل الإيثار، والمداهنة لأهل النفاق.

مثال ذلك رجل به قرحة فجاءه الطبيب الرفيق فتمرّع حالها، ثم أخذ في تليينها حتى إذا تضيّجت بطنها برفق وسهولة، فأخرج ما فيها، ثم وضع عليها من الدواء ما يمنع الفساد ويقطع المادة، ثم تابع عليها المرامح المثبتة للحم، ثم دز عليها ما يثبث الرطوبة، ثم شد عليها الرباط. ولم يزل حتى صلت، فهذا المداري. وأما المداهن فقال لصاحبها: لا بأس عليك منها، وهذه لاشيء، فاستترها عن العيون بحرقرة ثم أله عنها. وهذا لما رأى من بجرعه من بطنها، فلم تزل مادتها تقوى وتستحكم، حتى زادت موادها وعظم فسادها! انتهى.

(٢٨) طرق حديث: «أيا وال بات غاشاً لرعيته لإحرام الله عليه الجنة» الحديث من حيث الدراية مرفوع إلى النبي ﷺ من السنة القولية، ومن الخطاب الموجه للأمة، والذي لاتعثره احتمالات السنة الفعلية، كالتخصوصية أو احتمال الداعي للفعل دون القول.

ومن حيث التخريج فالحديث متفق عليه، فقد رواه مسلم في كتاب الإيمان حديث رقم ٢٢٧ - ٢٢٨. ورواه الإمام البخاري، في كتاب الأحكام، باب رقم ٨، وأخرجه أيضاً في كتاب الرقاق، باب رقم ٧٧، وأخرجه أحمد في مسنده ٥ / ٢٥.

وقد اهتم المحدثون بخاصة، والعلماء بعامة بالأحاديث التي تمنع الحاكم من ظلم رعيته، فقد عقد البخاري باباً في كتاب الأحكام، بعنوان: (باب من استرعى رعية فلم ينصح) وساق فيه بإسناده عن رسول الله ﷺ: «ما من وال يلي رعية من المسلمين فيموت وهو غاش لهم إلا حرم الله عليه الجنة، وفيه «ما من عبد استرعاه الله رعية فلم يحطها بنصحه إلا لم يجد رائحة الجنة».

(٢٩) من كره الحق فقد كره الله.

(٣٠) المقسطون من فطاء وأذكياء الحكام، ومتحضرهم، وصالحهم، يسعون ويسهرون لإسعاد أفراد شعوبهم وجاعاتهم وذلك بأمر منها:

كره^(٢٩) الحق فقد كره^(٣٠) الله، إن الله هو الحق المبين، يأمر المؤمنين إن الذي يلين قلوب^(٣١) أمتكم لكم حين ولاكم أمرهم لقرابتكم من^(٣٢) النبي ﷺ فقد كان رؤفاً رحماً، مواسياً بنفسه لهم في ذات يده، وعند الناس، فحقيق أن يقوم لهم فيهم بالحق، وأن يكون بالقسط له فيهم قائماً، ولعورتهم^(٣٣) ساتراً، لم تغلق عليه

(أ) الاهتمام بما يعانون منه ومشاركتهم ذلك.

(ب) كفالة أيتامهم وأراملهم وقرائهم.

(ج) السهر على راحتهم.

(د) مشاركتهم بالرأي والمشورة لأهل الكفاءات والقدرات العلمية والفنية، واحترام العقلية المفكرة في الأمة، ووضعها في المكان اللائق بها.

(٣١) القاسطون من الظلمة، فاقدو الإحساس الإنساني من بلهاء ومعانيه الأنظمة المكرسة بالبطش والإرهاب. يشترن العداوة مع الإنسان كل الإنسان، ويحطمونه ويضطرون به ويسحقونه ومن علامات ذلك الآتي:

(أ) يعتدون على الأعراض، سرا بإشاعة الفاحشة والاحلال والزيلة، وبها عبر سبل المعرفة المتعددة، وقتل الغيرة في نفوس الناس، واعتبار الاحلال والميوعة أمراً شخصياً وكذلك يعتدون على الأعراض جهراً (ب) يرهون أفراد الأمة بالتجسس والإرهاب الفكري والإخافة.

(ج) إهدار طاقات الأمة بتشريد العقول المنكرة، وتهجير المنتجين.

(٣٢) قوله (لقرابتكم من النبي ﷺ) عبارة مرغبة في الحديث ومقربة، وحبية إلى النفس، وفيها مزيد عناية بآل بيت النبي ﷺ، والذي أمرنا النبي ﷺ بمحبتهم، وفي حديث الترمذي، في كتاب المناقب باب ٣١ وفيه (وعترتي أهل بيتي).

(٣٣) من علامات عدل الحاكم ستره لعورات رعيته:

في صحيح مسلم - كتاب السير - حديث رقم ٧١، وهو عند أحمد في مسنده - ٦ / ١٤٥.

ولفظه «لا يستر الله على عبده في الدنيا، إلا ستره الله» وفي صحيح البخاري: «هل للإمام أن يستر عليه» انظر كتاب - الحدود - باب ٢٧.

وفي السنن لأبي داود - (وقال لفرال لو سترته بشوك) انظر كتاب الحدود - باب ٧ من سنن أبي داود. وفي البخاري «ومن أصاب شيئاً من ذلك فستره الله فأمره إلى الله» انظر - البخاري - مناقب الأنصار - باب

٤٣

(٣٤) ما كان على باب النبي ﷺ الحجاب، ولا على أبواب الراشدين.

وفي حديث الباكية على قبر ابنها، عند البخاري: بلفظ «فجاءت إلى بابه، فلم تجد عليه بواباً» انظر كتاب الأحكام باب ١١، والمسنود ٣ / ١٤٣. وفي رواية «فأتت باب النبي ﷺ فلم تجد عنده بوابين» انظر

دونهم الأبواب، ولم يقم عليه دونهم الحجاب^(٣٤)، يتهيج بالنعمة عندهم^(٣٥)، ويتشس بما أصابهم من سوء، يأمر المؤمنين، قد كنت في شغل شاغل^(٣٦) من خاصة نفسك، عن عامة الناس الذين أصبحت تملكهم^(٣٧)، أحمرهم وأسودهم، ومسلمهم وكافرهم، فكل له عليك نصيبه من العدل^(٣٨)، فكيف إذا اتبعك منهم

البخاري كتاب الجناز باب ٣١ (، وفي مسلم - كتاب الجناز - حديث رقم (١٥).
(٣٥) الإمام العادل يتهيج بالنعمة عند رعيته ولا يحسد هم:
فقد كان النبي ﷺ، تبرق أسارير وجهه لما يحصل الخير والبركة لأفراد الصحابة، ويعرف الفرح والسرور على وجهه الشريف.
وكانت الصحابة إذا بدأ الصلاح في ثارهم وبساتينهم من الرطب، أو العنب، حملوا باكورة إنتاجهم إليه، عليه الصلاة والسلام، فيتهلل وجهه فرحاً وسروراً.
وعند الترمذي في كتاب الدعوات - باب ٥٣ وهو عند الدارمي - كتاب الأطعمة باب ٣٢ بلفظ: «كان رسول الله ﷺ إذا أتى بالباكورة بأول الثمرة قال: اللهم بارك لنا في مدينتنا وفي ثمرتنا.. إلخ».
(٣٦) تشاغل الإمام عن رعيته مدعاة لسخط الله عليه.
من علامات سخط الله على عبده، وإعراض الله عنه أن يتشاغل بغير ما يعنيه ويتلهى وينشغل بالساقط من الأمر والحقير منه، دون العظيم والهام.
وقد تقع على الرعية وأفراد الأمة، مصائب وكوارث وأمراض، بل وحروب فيما بينهم، وينفرط جبل الأمن والاستقرار، والحاكم في شغل قليل الفائدة أو معدومها، وذلك من سخط الله والملائكة والمؤمنين عليه.

(٣٧) بمعنى أنه الملك والسلطان والأمير
(٣٨) على كل فرد من أفراد الرعية حق للحاكم يجب أن يؤديه، ومن ذلك السمع والطاعة والمجبة، وذلك قرينة، إذ أن طاعة الحاكم العادل طاعة لله ولرسوله ﷺ.
كما أن لكل فرد حقوق على الحاكم أن يرعاها بإخلاص وجدية وأمانة، وإلا كان حاكماً خائناً لله ولرسوله، مكتوف الأيدي إلى عتقه يوم القيامة.
روى أبو داود في سننه أنه يأتي «مغلوله يدها إلى عتقه» وفي بعض الروايات «فكه عدله أو أوقه».
انظر السنن لأبي داود - كتاب الملاحم - باب ١٥ وهو عند الدارمي - كتاب السير - باب ٧٢.
(٣٩) هذا الموقف يوم القيامة، خطير وعصيب، وقد وردت فيه أحاديث.

«اتقوا دعوة المظلوم» رواه أحمد، وأبو يعلى عن أنس مرفوعاً، بزيادة «وإن كانت من كافر فإنه ليس بينها وبين الله تعالى حجاب» ورواه الطبراني عن خزيمة رفة بزيادة «فإنها تحمل على الغمام، ويقول الله جل جلاله وعزتي وجلالي لأنصركن ولو بعد حين» ورواه الحاكم وقال: إنه على شرط مسلم. والفضاء في

فثام وراءهم فثام، ليس منهم أحد إلا وهو يشكوبلية أدخلتها عليه، أو ظلامة سقتها إليه^(٣٩)، يا أمير المؤمنين، حدثني مكحول عن عروة بن رويهم^(٤٠). قال: «كانت بيد النبي ﷺ جريدة يستاك بها، ويروع بها المنافقين، فأتاه جبريل عليه السلام فقال: يا محمد ما هذه الجريدة التي كسرت بها قرون أمتك، وملأت قلوبهم رعباً^(٤١)؟» فكيف

المختارة عن ابن عمر مرفوعاً بزيادة «فإنها تصعد إلى السماء كأنها الشرار» ورواه الحاكم عن ابن عمر بلفظ «اتقوا دعوة المظلوم فإنها تصعد إلى السماء كأنها شرارة» ورواه أبو يعلى عن أبي سعيد مرفوعاً بلفظ «اتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله تعالى حجاب»، واتفق الشيخان على اللفظ عن ابن عباس مرفوعاً، ورواه الخطيب عن علي بلفظ «اتق دعوة المظلوم فإنها يسأل الله حقه وإن الله لم يمنع ذا حق حقه».

(٤٠) عروة بن رويم - بالراء مصغراً - اللخمي أبو القاسم، من الخامسة؛ مات سنة ٣٥، على الصحيح، فالرواية مرسلّة. انظر التقريب ١٩ / ٢

(٤١) حكم حديث (يا محمد ما هذه الجريدة التي كسرت بها قلوب أمتك وملأت قلوبهم رعباً). من حيث الدراية والرواية والتخريج. الحديث رواه أحمد في المسند ٥ / ٢٩٤.

والحديث مرفوع إلى النبي ﷺ من حيث الدراية، فيه كلام جبريل، وفعل النبي ﷺ، يعد من المرفوع الفعلي.

والحديث من حيث الرواية، مرسل لسقوط الصحابي فيه، كما قال البيهقي:

ومرسل منه الصحابي سقط وقُل: غريب ماروي راو فقط

والحديث فيه الزجر، عن إخافة الأمة وإرهابها ما يكفي، وما أحسن الرفق في أمر الرعية، وسوقها باللين. وقد أحسن العجلوني في كشف الخفاء ١ / ٢٣٠ فساق القوائد أدناه.

«إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا يتزع من شيء إلا شانه» رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً، وفي رواية له من حديث شعبة عنها ركبت عائشة بعيراً فكانت فيه صعوبة فجعلت تردده فقال لها رسول الله ﷺ: «عليك بالرفق إن الرفق» - الحديث، وعزاه في اللآلئ لمسند أحمد عن عائشة، وأخرجه البخاري في الأدب، وأحمد، وآخرون بلفظ: كنت على بعير فيه صعوبة فقال النبي ﷺ: «عليك بالرفق فإنه لا يكون في شيء إلا زانه ولا يتزع من شيء إلا شانه» ورواه العسكري عن عائشة

بلفظ «ما كان الرفق في قوم إلا نفعهم ولا كان الحرق في قوم إلا ضرهم»، وله من حديث حجاج بن سليمان الرعياني قال: قلت لابن لهيعة: كنت أسمع عجائز المدينة يقلن: إن الرفق في المعيشة خير من بعض التجارة، فقال: حديثه محمد بن المنكدر عن جابر رفعه، وله أيضاً عن غروة بن الزبير قال: مكتوب في التوراة الرفق رأس الحكمة، وأثر عروة عند أبي الشيخ بلفظ: بلغني أنه مكتوب في التوراة إلا أن الرفق إلخ، وأخرج الطبراني عن جرير مرفوعاً «الرفق زيادة». وروى العسكري والقضاعي عن عائشة مرفوعاً =

بمن شقق أبشارهم وسفك دماءهم ، وخرّب ديارهم ، وأجلاهم عن بلادهم ،
وغيّبهم الخوف منه ، يأمر المؤمنين ، حدثني مكحول عن عن زيادة بن جارية عن
حبيب بن ^(٤٢) مسلمة : أن رسول الله ﷺ دعا إلى القصاص من نفسه في خدشة
خدش أعرابياً لم يتعمدها ، فأتاه جبريل فقال : يا محمد ، إن الله لم يبعثك جباراً ولا

«من أعطى حظه من الرفق فقد أعطى حظه من خير الدنيا والآخرة ، ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم
حظه من خير الدنيا والآخرة» ، وفي رواية للعسكري عنها بلفظ «إذا أراد الله بأهل بيت خيراً أدخل
عليهم الرفق» ، ومثله للقضاعي عن أبي الدرداء مرفوعاً ، وروى العسكري عن أنس مرفوعاً «ما كان
الرفق في شيء قط إلا زانه ، ولا كان الخرق في شيء قط إلا شأنه» ، ورواه عن جبرير رفعه «من يحرم الرفق
يحرم الخير كله» ، وروى البيهقي في مناقب الشافعي عن ابنه محمد أنه قال رأيت أبي وأنا أعجل في بعض
الأمر ، فقال : يا بني رفقاً رفقاً ، فإن العجلة تنقص الأعمال ، وبالرفق تدرك الآمال ، ثم ساق الشافعي
سنده إلى أبي هريرة رفعه «إن الله رفيق يحب الرفق ، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف» ، وقال
النجم : وعند الطبراني عن ابن مسعود : الرفق يمن والخرق شؤم ، وهو عند البيهقي : وإذا أراد الله بأهل
بيت خيراً أدخل عليهم الرفق ، فإن الرفق لم يكن في شيء قط إلا زانه ، وإن الخرق لم يكن في شيء فقط
إلا شأنه» وعند الدارقطني في الأفراد عن أنس «إذا أراد الله بأهل بيت خيراً نفعهم في الدين ، ووفر
صغيرهم كبيرهم ، ووزقهم الرفق في معيشتهم ، والقصد في نفقاتهم وبصرهم عيوبهم فیتوبوا منها ، وإذا
أراد بهم غير ذلك تركهم هملاً» .

(٤٢) حبيب بن مسلمة بن مالك بن وهب القرشي الفهري المكي ، نزيل الشام ، وكان يسمى حبيب الروم ،
لكثرة دخوله عليهم مجاهداً ، محتلف في صحبته ، والراجح ثبوتها .

مات بأرمينيا ، وكان أميراً عليها لمعاوية رضي الله عنه سنة ٤٢ هـ .

(٤٣) قال تراب قدح العلماء يغفر الله له ولوالديه وشيوخه :

هذا الإسناد عالٍ ، وهو من رواية صحابي عن صحابي ، فزياد بن جارية قيل : إنه صحابي أيضاً ، فإن صح
ذلك كان الحديث من رواية صحابي عن صحابي وهو :

زياد ، ويقال زايد ، أو يزيد ، بن جارية ، التميمي الدمشقي ، يقال : له صحبه ، وقد وثقه النسائي ، قتل في
زمن الوليد بن عبد الملك ، لكونه أنكر تأخير الجمعة إلى العصر .
التقريب ١ / ٢٦٦ .

(٤٤) حديث «لقاب قوس أحذكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها» روى البخاري ، في صحيحه بإسناده إلى
أنس بن مالك رضي الله ، عن النبي ﷺ أنه قال : «لقاب قوس أحذكم في الجنة أو موضع قيد - يعني
سوطه - خير من الدنيا وما فيها . ولوان امرأة من أهل الجنة ، أطلعت إلى أهل الأرض لأضواء ما
بينهما ، ولألأته ريحاً ، ولنصفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها» .

مستكبراً، فدعا النبي ﷺ الأعرابي فقال: اقتصص مني، فقال الأعرابي: قد أحللتك بأني أنت وأمي، ما كنت لأفعل ذلك أبداً، ولو أتت على نفسي، فدعا له بخير - يا أمير المؤمنين، رض نفسك لنفسك، وخذها الأمان من ربك، وأرغب في جنة عرضها السموات والأرض التي يقول فيها رسول الله ﷺ: «لقاب قوس أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها»^(٤٤). يا أمير المؤمنين! إن الملك لو بقي لمن قبلك لم يصل إليك، وكذلك لا يبقى لك كما لم يبق لغيرك^(٤٥)، يا أمير المؤمنين تدري ما جاء في تأويل هذه الآية عن جدك؟ ﴿ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها﴾ قال: الصغيرة التبسم، والكبيرة الضحك، فكيف بما عملته الأيدي، وحدثته الألسن! يا أمير المؤمنين، بلغني عن عمر بن الخطاب^(٤٦) رضي الله تعالى عنه أنه قال: لو ماتت سخلة^(٤٧) على شاطئ الفرات ضيعة لحفت أسأل عنها، فكيف بمن حرم عدلك وهو على بساطك؟ يا أمير المؤمنين أتدري ما جاء في تأويل هذه الآية عن جدك؟ ﴿يادادود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى﴾ قال: يادادود^(٤٨)، إذا قعد الخصمان بين يديك

انظر فتح الباري ٦ / ١٥.

(٤٥) الملك لو بقي لمن قبلك لم يصل إليك:

أين الملوك الذين دانت لهم الممالك والرقاب، وفتحوا البلاد شرقاً وغرباً؟ أين ملكهم؟ وأين أمواهم؟ وأين قصورهم وأمانهم وطموحاتهم؟ فلا يفتقر العبد، ولا يطمئن إلا للمصير المحتوم، الذي وقع لمن قبله، لقد ذهبوا كلهم إلى ربهم الذي مكنهم من الملك ليختبرهم ويبتليهم ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾. (٤٦) أثر عمر: (لو ماتت سخلة على شاطئ الفرات ضيعة لحفت أن أسأل عنها). إذا كان الخليفة يخاف من

ضياح وهلاك شاة وبغلة، فكيف بضياح عروض المسلمين وأرواحهم؟!

(٤٧) (السخلة) بنت الشاة، (والعتود) ولد الشاة وهي من الكلمات المعروفة، والشاة عند أهل السودان، مما يدل على أصالة إسلامهم وعروبتهم، وتوجد كلمات عربية كثيرة ما زالت والله الحمد شائعة، بل قد ينفردون بها دون إخوانهم من أهل الدول العربية مثل كلمة (زول) فهي عربية نص على ذلك أهل المعاجم. قال الجوهري في الصحاح ٤ / ١٧١٩: والزول: الرجل الخفيف الظريف. قال ابن السكيت: (يعجب من ظرفه. والمرأة زولة).

(٤٨) كلام نفيس للإمام سيد قطب في تفسيره لقول المولى تبارك وتعالى ﴿يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض، فاحكم بين الناس بالحق، ولا تتبع الهوى﴾.

انظر الظلال ٥ / ٣٠٠٤.

فكان لك في أحدهما هوى ، فلا تمنين في نفسك أن يكون له الحق فيفلج على صاحبه ، فأحموك من نبوتي ، ثم لا تكون خليفتي ولاكرامة ، يادادود ، إنها جعلت رسلي إلى عبادي رعاء كراء الإبل ، لعلمهم بالرعاية ، ورفقهم بالسياسة ، ليَجبروا الكسير ، ويدلوا الهزبل على الكلاً والماء ، ياأمير المؤمنين ، إنك قد بليت بأمر عظيم لو عرض على السموات والأرض والجال لأبين أن يحمله وأشفقن منه ، ياأمير المؤمنين ، حدثني يزيد بن مزيد ، عن جابر عن عبدالرحمن بن أبي عمرة الأنصاري^(٤٩) : أن عمر بن الخطاب استعمل من الأنصار رجلاً على الصدقة ، فراه بعد أيام مقيماً ، فقال له : مامنعك من الخروج إلى عملك ؟ أما علمت أن لك مثل أجر المجاهدين في سبيل الله ؟ قال : لا ! قال عمر : وكيف ذاك ؟ قال لأنه بلغني^(٥٠) أن رسول الله ﷺ قال : « مامن وال يلي من أمور الناس شيئاً إلا أتى به يوم القيامة ، فيوقف على جسر من نار ، فينتفض به الجسر انتفاضاً يزيل كل عضو منه عن موضعه ، ثم يعاد فيحاسب ، فإن كان محسناً نجا بإحسانه ، وإن كان مسيئاً انخرق به ذلك الجسر ، فهوى به في النار سبعين خريفاً » . فقال له عمر : ممن سمعت هذا ؟ قال من أبي ذر ، وسلمان ، فأرسل إليهما عمر فسألهما فقالا : نعم ! سمعناه من رسول الله ﷺ ، فقال عمر : واعمرة ، من يتولاها يا فيها ؟ فقال أبو ذر : من سلت الله أنفه^(٥١) ، وألصق خده بالأرض . فأخذ أبو جعفر المنديل فوضعه على وجهه فبكى وانتحب ، حتى أبكاني فقلت : ياأمير المؤمنين ، قد سأل جدك العباس النبي ﷺ إمارة على مكة والطائف ، فقال له « ياعباس يا عم النبي ! نفس تحيها خير من إمارة لا تحصيلها^(٥٢) » هي نصيحة منه لعمه ، وشفقة منه عليه ، لأنه لا يغني عنه من الله شيئاً ،

(٤٩) عبدالرحمن بن أبي عمرة الأنصاري ، شيخ الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة . من الخامسة . انظر تقرب التهذيب ١ / ٤٩٣ .

(٥٠) تقدم تخريج ما يفيد معناه .

(٥١) (سَلَتَ اللهُ أَنْفَهُ) قال في لسان العرب مادة (سَلَتَ) ٢ / ٤٥ : (سَلَتَ الْمَعْنَى يَسْلَتُهُ سَلْتًا : أَخْرَجَهُ بِيَدِهِ ، ... إِلَى أَنْ قَالَ : وَسَلَتَ أَنْفَهُ بِالسَّيْفِ ، وَفِي الْحَكْمِ : وَسَلَتَ أَنْفَهُ يَسْلَتُهُ سَلْتًا : جَدَعَهُ وَفِي حَدِيثِ سَلْمَانَ : (أَنْ عَمَرَ قَالَ : مَنْ يَأْخُذُهَا بِهَا فِيهَا؟ يَعْنِي الْخِلَافَةَ ، فَقَالَ سَلْمَانُ : مَنْ سَلَتَ اللهُ أَنْفَهُ . أَيِ جَزَعَهُ وَقَطَعَهُ) .

(٥٢) حديث (نفس تحيها خير من إمارة لا تحصيلها) لم أجده .

أوحى الله تعالى إليه ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(٥٣) فقال : يا عباس ، ياصفية عمة النبي ،
إني لست أغنى عنكم من الله شيئاً ، ألا لي عملي ولكم عملكم^(٥٤) ، وقد قال عمر
رضي الله تعالى عنه : لا يقيم أمر الناس إلا حصيف^(٥٥) العقل أرب العقدة ، لا يطلع
منه على عورة^(٥٦) ، ولا ينجو على حوة^(٥٧) ولا تأخذه في الله لومة لائم . وقال : السلطان
أربعة أمراء ؛ فأمر قوي ظلف نفسه وعماله ، فذاك المجاهد في سبيل الله ، يد الله باسطة
عليه بالرحمة ، وأمير ضعيف ظلف^(٥٨) نفسه وأرتع عماله ، فضعف ، فهو على شفا
هلاك ، إلا أن يرحمه الله ، وأمير ظلف عماله وأرتع نفسه ، فذلك الخطمة الذي قال
رسول الله ﷺ «شر الرعاء الخطمة»^(٥٩) فهو الهالك وحده ، وأمير أرتع نفسه وعماله
فهلكوا جميعاً^(٦٠) . وقد بلغني يأمر المؤمنين أن جبريل عليه السلام أتى النبي ﷺ
فقال : أتيتك^(٦١) حين أمر الله عز وجل بمنافخ النار فوضعت على النار تسع ليو
القيامة ، فقال له : يا جبريل صف لي النار . فقال : إن الله أمر بها فأوقدت ألف عام حتى

(٥٣) الشعراء آية ٢١٤

(٥٤) رواه البخاري في كتاب الوصايا باب ١١ وكتاب التفسير باب ٢٦ ، والنسائي - كتاب الوصايا باب ٦ ،
ورواه الدارمي في كتاب الرقاق باب ٢٣ ، ورواه أحمد في المسند ١ / ٢٠٦ .

(٥٥) قال في لسان العرب مادة (حصف) ٩ / ٤٨

الحصافة : تخانة العقل . حصف ، بالضم حصافة إذا كان جِدَّ الرأي محكم العقل ، وهو حصف وحصيف
بين الحصافة . والحصيف : الرجل المحكم العقل ، قال : يحدث في الشتاء حديث صيف . وشتوى
الحديث إذا تصيف . فتخلط فيه من هذا بهذا .

(٥٦) الله أكبر كم في هذه الموعظة من تنبيه ، فما أدرى أحق أم حصيف على ستر العورات .

(٥٧) الحوة : كساء تحوى حول سنام البعير... قال عمير الجمحي يوم بدر وحين لما نظر إلى أصحاب النبي
ﷺ وحذرهم وأخبر عنهم .

(رأينا الحويات عليها المنايا ، نواضح يثرب تحمل الموت الناقع)

انظر لسان العرب مادة (حوا) ١٤ / ٢٠٨ .

(٥٨) ظلف : الظلف من الأرض الذي تتجنب الخيل (العدو فيه... وهو ماغلظ من الأرض واشتد . لسان
العرب (ظلف) ٩ / ٢٣٠ .

(٥٩) حديث «شر الرعاء الخطمة» . (رواه مسلم - كتاب الإمارة - حديث رقم ٢٣ ، ورواه أحمد في المسند ٥ / ٦٤ .

(٦٠) هو حال غالبية حكام المسلمين اليوم للأسف الشديد إلا من رحم الله .

(٦١) حديث جبريل «أتيتك حين أمر الله عز وجل بمنافخ النار فوضعت...» حديث مشهور ، ومعناه في الصحيحين .

رواه الترمذي - في كتاب - صفة جهنم - باب رقم ٨ ورواه ابن ماجه - في كتاب الزهد - باب ٣٨

احمرت، ثم أوقد عليها ألف عام حتى اصفرت، ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودت، فهي سوداء مظلمة لا يضيء لها ولا جمرها والذي بعثك بالحق لو أن ثوبا من ثياب أهل النار أظهر لأهل الأرض لما تواتوا جميعا، ولو أن ذنوبا^(٦٢) من شرابها صب في ماء الأرض لقتل من ذاقه، ولو أن ذراعا من السلسلة^(٦٣) التي ذكر الله تعالى وضع على جبال الأرض جميعا لذابت وما استقرت، ولو أن رجلا دخل النار ثم أخرج منها لمات أهل الأرض من تنن ريحه، وتشويه خلقه وعظمه. فبكى النبي ﷺ وبكى جبريل لبيكاته، فقال: أتبيكي يا محمد وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبدا شكورا؟ ولم بكيت يا جبريل وأنت الروح الأمين أمين الله على وحيه؟ قال: أخاف أن أبتلى يا أبتلى به هاروت وماروت، فهو الذي منعني من اتكالي على مترلي عند ربي، فأكون قد أمنت مكره، فلم يزلوا يبكيان حتى نوديا من السماء: أن يا جبريل وبيا محمد، إن الله تعالى قد أمكنكم أن تعصياه فيعذبكما، ففضل محمد على الأنبياء كفضل جبريل على ملائكة السماء كلهم^(٦٤). وقد بلغني يا أمير المؤمنين، أن عمر بن الخطاب قال: اللهم إن كنت تعلم أني أبالي إذا قعد الحصان بين يدي على من قال الحق من قريب أو بعيد فلا تمهلني طرفة عين، يا أمير المؤمنين، إن أشد الشدة القيام لله بحقه، وإن أكرم الكرم عند الله التقوى، إنه من طلب العز بطاعة الله رفعه الله، ومن طلبه بمعصية الله أذله^(٦٥)

(٦٢) الذنوب: بفتح الذال: هي الدلو العظيمة قد ملئت بالماء.

(٦٣) قول الأوزاعي:

(لو أن ذراعا من السلسلة التي ذكر الله تعالى وضع على جبال الأرض جميعا لذابت وما استقرت) يقصد بذلك الآيات الآتية:

(أ) ﴿وَمِنْ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ الحاقة ٣٢.

(ب) ﴿إِذَا الْأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلاسلُ يَسْحَبُونَ﴾ غافر ٧١.

(ج) ﴿إِنَّا اعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلاسلَ وَأَغْلالًا وَسَعِيرًا﴾ الإنسان ٤.

(٦٤) الأخبار مستفيضة في تحقيق أفضلية سيدنا محمد ﷺ وبارك عليه، على سائر الأنبياء والرسل والناس أجمعين. وكذلك فضل جبريل عليه السلام على سائر الملائكة.

(٦٥) من طلب العزة بمعصية الله، أذله الله ووضعه.

والحال الذي نراه اليوم من إذلال الأمة الإسلامية، شعوبا وحكاما، هو طلبهم للعزة من تحت أقدام المشركين، وسقوطهم على فتات موائد الكفار الفكرية والعقدية، حتى إنهم رموا بكتاب الله بعيدا وطبقوا قوانين الكفار على رقاب المسلمين وفي أرض الإسلام.

الله ووضعه. هذه نصيحتي والسلام عليك. ثم نهضت فقال لي : إلى أين ؟
فقلت : إلى البلد والوطن^(٦٦) بإذن أمير المؤمنين إن شاء الله. فقال : قد أذنت.
وشكرت لك نصيحتك وقبلتها بقبول ، والله الموفق للخير والمعين عليه ، وبه أستعين ،

(٦٦) اشتهر بين الناس الحديث المكرس للوطنية بلفظ (حب الوطن إيان) وكلام أهل العلم في ذلك
من كتاب (كشف الخفاء) ١ / ٣٤٦.

(حب الوطن قتال) قال النجم ليس بحديث ، وفي معناه وما رواه الدينوري في المجالسة عن
الأصمعي قال : قالت الهند : ثلاث خصال في ثلاثة أصناف من الحيوان : الإبل تحن إلى أوطانها
وإن كان عهدا بعيداً ، والطير إلى وكرة ، وإن كان موضعه مجدباً ، والإنسان إلى وطنه وأن كان
غيره أكثر له نفعاً. وفيها أيضاً عن الأصمعي : سمعت أعرابياً يقول إذا أردت أن تعرف الرجل
فانظر كيف تحننه إلى أوطانه ، وتشوقه إلى إخوانه ، ويكاؤه على ماضى من زمانه.

(حب الهرة من الإيوان) قال القاري : موضوع ، كما قاله الصفاني وغيره ، قال : وقد بسطت عليه
الكلام في رسالة مستقلة لتحقيق المرام في تقريره من خصال أهل الإيوان ، وهو لايتاني من
خصال بعض أهل الكفران كسائر مكارم الإحسان ، ولايعد من علامة الإيوان كما توهم السعد
والسيد ، وأغرب الثاني حيث جعل إضافته من باب إضافة المصدر إلى مفعوله. انتهى ، وأقول :
لا غرابة فيه فهو كقوله تعالى ﴿لَا يَسَامُ الْإِنْسَانُ مِنْ دَعَاءِ الْخَيْرِ﴾.

(حب العرب إيان) تقدم في «أحبوا العرب».

(حب المؤمن من الإيوان) قال الصفاني : موضوع.

(حب الوطن من الإيوان) قال الصفاني : موضوع ، وقال في المقاصد : لم أقف عليه ، ومعناه
صحيح ، ورد القاري قوله ومعناه صحيح بأنه عجيب ، قال إذ لا تلازم بين حب الوطن وبين
الإيوان ، قال : ورد أيضاً بقوله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ..﴾ الآية فإنها دلت على حبهم وطنهم ،
مع عدم تلبسهم بالإيوان ، إذ ضمير عليهم للمنافقين ، لكن انتصر له بعضهم بأنه ليس في كلامه أنه
لايحب الوطن إلا مؤمن ، وإنما فيه : أن حب الوطن لايتاني الإيوان انتهى ، كذا نقله القاري ، ثم عقبه
بقوله : ولا يخفى أن معنى الحديث : حب الوطن من علامة الإيوان ، وهي لا تكون إلا إذا كان الحب محتصاً
بالمؤمن ، فإذا وجد فيه وفي غيره لا يصلح أن يكون علامة ، قوله : ومعناه صحيح نظراً إلى قوله تعالى
حكاية عن المؤمنين ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَقَدْ أَخْرَجْنَا مِنْ دِيَارِنَا﴾ فصحت معارضته بقوله تعالى
﴿وَلَوْ أَنَا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ الْقَتْلَاءُ..﴾ الآية إلا ظهر في معنى الحديث إن صح مناه ، أن يحمل على أن المراد
بالوطن الجنة ، فإنها المسكن الأول لأبينا آدم ، على خلاف فيه أنه خلق فيها أو أدخل بعد ما تكمل وأتم ،
أو المراد به مكة ، فإنها أم القرى وقبة العالم ، أو الرجوع ، إلى الله تعالى على طريقة الصوفية فإنه المبدأ
والمعاد كما يشير إليه قوله تعالى ﴿وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾ أو المراد به : الوطن المتعارف ، ولكن بشرط أن
يكون سبب حبه صلة أرحامه أو إحسانه إلى أهل بلده من فقرائه وأيتامه ، ثم التحقيق أنه لا يلزم من كون
الشيء علامة له اختصاصه به مطلقاً ، بل يكفي غالباً ، ألا ترى إلى حديث حسن العهد من الإيوان ، =

وعليه أتوكل، وهو حسي ونعم الوكيل، فلا تخلني^(٦٧) من مطالعتك إياي يمثلها، فإنك المقبول غير المتهم في النصيحة. قلت: أفعل إن شاء الله. قال محمد ابن مصعب^(٦٨): فأمر له ببال يستعين به على خروجه فلم يقبله. وقال: أنا في غني عنه، وماكنت لأبيع نصيحتي بعرض من الدنيا^(٦٩) كلها، وعرف المنصور مذهبه فلم يجد عليه في رده.

انتهت وصية الأوزاعي للمنصور

وحب العرب من الإيمان، مع أنها يوجدان في أهل الكفران انتهى، وما يدل لكون المراد به مكة ما روى ابن أبي حاتم عن الضحاك قال: لما خرج النبي ﷺ من مكة فبلغ الجحفة اشتاق إلى مكة فأنزل الله ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَيْهِ مَعَادٌ﴾ قال: إلى مكة انتهى، وللخطابي في غرب الحديث عن الزهري قال: قدم أصيل - بالتصغير - الغفاري على رسول الله ﷺ من مكة قبل أن يضرب الحجاب، فقالت له عائشة: كيف تركت مكة؟ قال: «اخضرت جنباتها وابتضت بطحاؤها وأغدق إذخرها وانتشر سلمها» - الحديث، وفيه فقال رسول الله ﷺ «حسبك يا أصيل، لا تحزني»، وفي رواية فقال له النبي ﷺ «وبها يا أصيل، دع القلوب تقر». (٦٧) تخلني: أي تتركني.

(٦٨) محمد بن مصعب القرطبي - صاحب الأوزاعي، حدث عن أحمد، والرمادي، وعباس الدوري، وخلق كثير. توفي سنة ٢٠٨.

انظر - ميزان الاعتدال ٤ / ٤٢.

(٦٩) تجار الدين، وبائعو الفتوى، ومروجو الفوضى الفقهية، وهم أنواع وأقسام تُعرف بالاستقراء والتبع، فمنهم.

(أ) البلاطيون: وهم الذين يتدبسون أنفسهم لتبرير أغلاط ظلمه السلاطين، فيفتونهم في بلاطهم بما يريدون، فيرققون الدين، وينحفون الفتوى، لتصبح مشجعة للحاكم الظالم على انتهاك المحرمات، أو ترك الالتزام بأمر واجب.

وهم شر من تسعر بهم النار، وأول من يدخلونها

(ب) الواقفة: وهم الذين يجبنون عن قول الحق، فيقولون: (نحن متوقفون في هذه المسألة حتى تظهر) ومع ظهورها لا يقولون كلمة حق إلا للضعفاء من الناس، يتهرونهم بالحق انتهارا وزجرا.

(ج) المفرقة: وهم الذين فرقوا بين الدين والسياسة، وخصوا الدين بالصلة فقط .

وقد روت أحاديث في ذم الدنيا منها في كتاب كشف الخفاء.

«اتقوا الدنيا واتقوا النساء» رواه الديلمي عن معاذ وزاد فإن إبليس طلاع رصاد، وما هو بشيء من فخوخه بأوثق لصيده من الأتقياء في النساء، عند مسلم عن أبي سعيد «اتقوا فتنة الدنيا وفتنة النساء فإن أول فتنة

بني إسرائيل كانت من النساء» وفي الصحيح «اتقوا الله واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت من =

النساء» وروي «ما يش الشيطان من ابن آدم إلا أناه من قبل النساء».

«حب الدنيا رأس كل خطيئة» رواه البيهقي في الشعب بإسناد حسن إلى الحسن البصري رفعه مرسلًا، وذكره الدبلي في الفردوس، وتبعه ولده بلا سند عن علي رفعه، وقال ابن الغرس: الحديث ضعيف، ورواه البيهقي أيضًا في الزهد، وأبو نعيم من قول عيسى بن مريم، وفي رواية لولد أحمد بلفظ «رأس الخطيئة حب الدنيا، والنساء حبال الشيطان، والخمر مفتاح كل شر» ولأحمد في الزهد عن سفيان، قال: كان عيسى بن مريم يقول: حب الدنيا أصل كل خطيئة، والمال فيه داء كثير، قالوا: وما دأؤه؟ قال: لا يسلم صاحبه من الفخر والحياء، قالوا: فإن سلم؟ قال: شغله إصلاحه عن ذكر الله تعالى، وعند ابن أبي الدنيا في مكاييد الشيطان له: أنه من قول مالك بن دينار، وعند ابن يونس في تاريخ مصر له: من قول سعيد بن مسعود، وجزم ابن تيمية بأنه من قول جندب البجلي، قال في المقاصد: وبالأول يرد عليه وعلى غيره ممن صرح بالحكم عليه بالوضع، أي كالصغاني، لقول ابن المديني: مراسلات الحسن إذا رواها عنه الثقات صحاح، ما أقل ما يسقط منها، وقال أبو زرعة: كل شيء يقول الحسن فيه: قال رسول الله ﷺ، وجدت له أصلًا ثانيًا، ما خلا أربعة أحاديث وليته ذكرها، وقال في الدر: قد عد الحديث في الموضوعات، وتعبه شيخ الإسلام ابن حجر بأنه أثني على مراسيل الحسن. انتهى، لكن في الآتي للمحافظ المذكور: مراسيل الحسن عندهم تشبه الريح انتهى، وقال الدارقطني: في مراسيله ضعف، وللدبلي عن أبي هريرة رفعه أعظم الآفات تصيب أمتي: حبهم الدنيا، وجمعهم الدنانير والدرهم، لاخير في كثير ممن جمعها، إلا من سلطه الله على هلكتها في الحق، وفي تاريخ ابن عساکر: عن سعيد بن مسعود الصدفي التابعي بلفظ: حب الدنيا رأس الخطايا.

«نعم الأمير إذا كان باب الفقير وبش الفقير إذا كان باب الأمير» رواه ابن ماجه بسند ضعيف بمعنى الشطر الثاني عن أبي هريرة رفعه، والغزالي بلفظ شرار العلماء الذين يأتون الأمراء، وخيار الأمراء الذين يأتون العلماء، وللدبلي عن عمر بن الخطاب رفعه: إن الله يحب الأمراء إذا خالطوا العلماء، وبعثت العلماء إذا خالطوا الأمراء، لأن العلماء إذا خالطوا الأمراء رغبوا في الدنيا وإذا خالطهم الأمراء رغبوا في الآخرة. وفي ترجمة علي بن الحسين الصندلي من الحنفية: أن السلطان ملك شاه قال له: لم لا تحيى إلي؟ فقال: أردت أن تكون من خير الملوك، حيث تزور العلماء، ولا أكون من شر العلماء حيث أوزر الملوك. وسلف: ما من عالم أتى صاحب سلطان طوعاً إلا كان شريكه في كل لون يعذب به في نار جهنم. وكذا سلف: الفقهاء أمناء السر ما لم يدخلوا في الدنيا، ويتبعوا السلطان. وفي الشعب للبيهقي وما زاد أحد من السلطان قرباً إلا ازداد من الله بعداً. وقال الثوري: إذا رأيت القاريء يلوذ بالسلطان فاعلم أنه لص، وإذا رأيت يلوذ بالأغنياء فاعلم أنه مراء، وإياك أن تختدع ويقال لك: ترد مظلمة، وتدفع عن مظلوم، فإن هذه خدعة إبليس، اتخذها الفقراء سلباً. وقوله أيضاً: إني لألقى الرجل أبغضه، فيقول لي: كيف أصبحت؟ فيلين له قلبي. فكيف بمن أكل ثريدهم، ووطيئ بساطهم؟ ومن ثم ورد: اللهم لا تجعل لفاجر عندي نعمة يرعاه بها قلبي. وقال أبو إسحاق السبيعي: من أغناه الله عن أبواب الأمراء

وأبواب الأطباء فهو سعيد. وعن بشر بن الحارث أنه قال : ما أقبح أن يطلب العالم فيقال هو بيباب الأمير.
«الدنيا لاتعدل عند الله جناح بعوضة» رواه الديلمي عن زيد بن ثابت، والمشهور على الألسنة : الدنيا
لاتزن عند الله جناح بعوضة.

«الدنيا ضرة الآخرة» قال النجم : ليس في المرفوع، وهو في معنى الدنيا والآخرة ضربتان فإذا أرضيت
إحدهما أسخطت الأخرى، ذكره في الإحياء من كلام عيسى عليه الصلاة والسلام، وفي معناه أيضا
ما عند أحمد ومسلم وابن حبان والحاكم وصحاحه عن أبي موسى : من أحب دنياه أضرب آخرته، ومن
أحب آخرته أضرب دنياه، فأثروا ما يبقى على ما يفتنى، وروى أحمد وابن حبان والحاكم وصحاحه،
والبيهقي، وابن مردويه، عن أبي ابن كعب : بشر هذه الأمة بالسوء والرفعة والنصرة والتمكن في
الأرض ما لم يطلبوا بعمل الآخرة، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة من نصيب،
ولعبد الله بن أحمد في الزهد، عن عمران بن سليمان : بلغني أن عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام
قال يا بني إسرائيل، تهاونوا بالدنيا تهن عليكم، وأهينوا الدنيا تكرم عليكم الآخرة، ولا تكمروا الدنيا
فتهون الآخرة عليكم، فإن الدنيا ليست بأهل الكرامة، وكل يوم تدعون إلى الفتنة والخسارة.
«الدنانير والدراهم خواتيم الله في أرضه، من جاء بخاتم مولاة قضيت حاجته» رواه الطبراني في الأوسط
بسند عن أبي هريرة رضى الله عنه، قال : لا يروى عن النبي ﷺ إلا بهذا الإسناد، ونحوه ما رواه في
الأوسط والصغير عن المقدم بن معدى كرب مرفوعا : يأتي على الناس زمان من لم يكن معه أصفر ولا
أبيض لم يتهن بالعيش، وهو غريب، ورواه أحمد بلفظ «يأتي على الناس زمان لا ينفع فيه إلا الدرهم
والدينار» وفيه قصة. وما قيل في ذلك :

إذا أردت الآن أن تكروا فأرسل الدينار والدرهما
فليس في الأرض وما فوقها أقضى لأمر يشتهى منها

والديلمي عن جابر رفعه : الموت تحفة المؤمن، والدرهم والدينار مع المناق، وهما زاده إلى النار،
والديلمي أيضا عن جابر بلفظ : الدرهم والدينار ربيع المناق، في حديث له أوله : الموت تحفة المؤمن.
«الدنيا خضرة حلوة، وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون» رواه مسلم، والنسائي، وآخرون
عن أبي سعيد الخدري مرفوعا، ورواه ابن ماجه والترمذي وحسنه بلفظ : إن الدنيا لأكثرهم، ورواه
العسكري عن أبي هريرة رضى الله عنه رفعه بلفظ : الدنيا خضرة حلوة، من أخذها بحمقها بورك له فيها،
ورب متخوض في مال الله ورسوله له النار يوم القيامة، وعزا الديلمي حديث «الدنيا خضرة حلوة» إلى
البخاري، عن خولة بتقديم حلوة على خضرة، وزيادة وإن رجلا يتخوضون، وروي عن حكيم بن
حزام أنه ﷺ قال له : «يا حكيمة، إن هذا المال خضرة حلوة، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه،
ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه» ورواه الطبراني والراهمزي في الأمثال عن ابن عمر رضى الله
عنها بلفظ : الدنيا حلوة خضرة. وهو المشهور، وعزاه في الجامع الصغير للطبراني عن ميمونة بلفظ :

الدنيا حولة خضرة. قال المناوي: زاد مسلم: وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون، واتقوا الدنيا، واتقوا النساء، فإن أول قتنة بني إسرائيل كانت في النساء.

«الدنيا جيفة وطلابها كلاب» قال الصغاني: موضوع. أقول وإن كان معناه صحيحاً لكنه ليس بحديث، وقال النجم: ليس بهذا اللفظ في المرفوع، وعند أبي نعيم عن يوسف بن أسباط قال: قال علي بن أبي طالب: الدنيا جيفة، فمن أرادها فليصبر على مخالطة الكلاب، وأخرج ابن أبي شيبة عنه مرفوعاً. ورواه البزار عن أنس بلفظ: يتنادي مناد: دعوا الدنيا لأهلها ثلاثاً، من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ حشفه وهو لا يشعر، وذكره السيوطي في الدرر بلفظ: الدنيا جيفة، والناس كلابها. رواه أبو الشيخ في تفسيره عن علي موقوفاً، ثم قال وأخرج الديلمي عن علي مرفوعاً: أوحى الله إلى داود: مثل الدنيا كمثل جيفة جمعت عليها الكلاب يجرونها. أفتحب أن تكون مثلهم فتجرها معهم؟ وقد نظم إمامنا الشافعي رضي الله عنه ذلك حيث قال وأجاد:

ومن يأمن الدنيا فإني طعمتها	وسيق إلينا عذابها وعذابها
فما هي إلا جيفة مستحيلة	عليها كلاب همهن اجتذابها
فان تجتنبها كنت سلماً لأهلها	وإن تجتذبها نازعتك كلابها

«الدنيا حرام على أهل الآخرة، والآخرة حرام على أهل الدنيا، والدنيا والآخرة حرام على أهل الله» رواه الديلمي في الفردوس عن ابن عباس. قال المناوي: فيه جيلة بن سليمان أورده الذهبي في الضعفاء، وقال ابن معين ليس بثقة انتهى.

«الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له» رواه أحمد بسند رجاله ثقات عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً، والمشهور على الألسنة إبدال ومال من لا مال له بقوله: ولها يجمع من لا عقل له، وعزاه في الجامع الصغير لأحمد والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها، والبيهقي عن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفاً، بلفظ: الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، ولها يجمع من لا عقل له، قال المناوي: قال المنذري والعراقي: إسناده جيد. وقال الهيثمي: رجال أحمد رجال الصحيح، غير دريد، وهو ثقة. وذكره ابن حجر المكي في أسنى المطالب، وزاد: وعليها يعادي من لا علم عنده، وعليها يحسد من لا فقه له، ولها يسعى من لا يقين له، انتهى، وعزاه الغزالي في الإحياء عن عائشة بلفظ: الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، ولها يجمع من لا عقل له، وعليها يعادي من لا علم عنده، وعليها يحسد من لا فقه له، ولها يسعى من لا يقين له انتهى. قال العراقي في تحريجه: رواه أحمد من حديث عائشة رضي الله عنها مقتصراً إلى آخر قوله «من لا عقل له» دون بقية.

«الدنيا دار بلاء» رواه الديلمي عن معاوية.

«الدنيا لاتصفو لمؤمن كيف وهي سجنه وبلاؤه» ابن لال عن عائشة، قال ابن الغرس نقلا عن شيخه: حديث حسن لغيره.

«الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» رواه مالك ومسلم والترمذي: عن أبي هريرة وقال الترمذي حسن صحيح، وأما ما في الموضوعات للصفاني من أنه موضوع فلا يعول عليه، وروى الطبراني وأبو نعيم واللفظ له عن ابن عمر مرفوعا: يا أبا ذر، الدنيا سجن المؤمن، والقبر أمنه، وفي لفظ بدله: والقبر حصنه، والجنة مصيره، يا أبا ذر، إن الدنيا جنة الكافر، والقبر عذابه، والناظر مصيره، المؤمن من لم يجزع من ذل الدنيا - الحديث، وعند أحمد وأبي نعيم عن ابن عمر بلفظ: الدنيا سجن المؤمن وستته فإذا فارق الدنيا فارق السجن والسنة قال في الآلئء والمراد بالسنة الجذب. وكذا أخرجه الطبراني باختصار، والغوي في شرح السنة، وصححه الحاكم، وعند العسكري عن ابن المبارك قال: كان الحسن يقول: قال النبي ﷺ: «الدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر، فالمؤمن يتزود، والكافر يتمتع، والله إن أصبح فيها مؤمنا إلا حزينا، وكيف لا يحزن من جاءه عن الله: أنه وارد جهنم، ولم يأت أنه صادر عنها»، وقال النجم: وأخرجه ابن المبارك بلفظ آخر موقوفا «إن الدنيا جنة الكافر، وسجن المؤمن، وإنما مثل المؤمن حين تخرج نفسه كممثل رجل كان في سجن فأخرج منه، فجعل يتقلب في الأرض ويتفصح فيها»، وأخرجه ابن أبي شيبة موقوفا، ولفظه الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، فإذا مات المؤمن تحلى سربه يمرح حيث شاء، والسرب يفتح أوله الطريق، ولابن لال عن عائشة رضى الله عنه: الدنيا لاتصفو، كيف وهي سجنه وبلاؤه؟ تنمة: ذكر المناوي في شرح الجامع الصغير: أن الحافظ ابن حجر لما كان قاضي القضاة مر يوما بالسوق في موكب عظيم وهيئة جميلة، فهجم عليه يهودي يبيع الزيت الحار، وأثوابه متلخصة بالزيت، وهو في غاية من الرثاثة والشناعة، فقبض على لجام بغلته وقال: يا شيخ الإسلام، تزعم أن نبيكم قال: الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر؟ فأني سجن أنت فيه، وأي جنة أنا فيها! فقال: أنا بالنسبة لما أعد الله لي في الآخرة من النعيم كافي الآن في السجن، وأنت بالنسبة لما أعد لك في الآخرة من العذاب الأليم في جنة. فأسلم اليهودي انتهى.

«الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة» - وفي لفظ الدنيا كلها متاع.

«إن روح القدس نفث في روعي لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب» رواه في مسند الفردوس عن جابر في حرف الهمزة، ورواه في حرف النون عنه بلفظ نفث في روعي روح القدس: أن نفسا لن تخرج من الدنيا حتى تستكمل رزقها - الحديث، ورواه أبو نعيم والطبراني عن أبي أمامة واليزار عن حذيفة، وأخرجه أيضا ابن أبي الدنيا وصححه الحاكم عن ابن مسعود كذا في فتح الباري.

بعض وصايا الأوزاعي

* حدثنا أبو علي محمد بن أحمد بن الحسن، ثنا بشر بن موسى، ثنا عبد الله ابن صالح العجلي، ثنا يحيى بن عبد الملك بن أبي غنية^(٧٠)، قال: كتب الأوزاعي إلى أخ له: أما بعد، فإنه قد أحيط بك من كل جانب، واعلم أنه يسار بك في كل يوم وليلة، فاحذر الله والمقام بين يديه، وأن يكون آخر عهدك به والسلام.

* حدثنا إبراهيم بن عبد الله، ثنا محمد بن إسحاق، ثنا الحسن بن عبد العزيز، ثنا عبد الرحمن بن علي، عن هقل^(٧١) عن الأوزاعي: أنه كتب إلى الحكم بن غيلان القيسي: قد أحببت رحمتنا الله وإياك أن يقفك ماعملت من المراء، وإن كان على ماتعلم فيه، وأن تجعل لمعادك في طرفي نهارك نصيباً، ولا يستقر عنك إشار غيره، ودع امتحان من اتهمت^(٧٢)، وضع أمره على ما قد ظهر لك منه، فإن ستر عنك خلافاً فاحمد الله على عافيته، وإن عرض لك ببدة فأعرض عن بدعته^(٧٣)، ودع

(٧٠) عبد الملك بن أبي غنية:

هو عبد الملك بن حميد بن أبي غنية - بفتح المعجمة وكسر النون - الخزاعي الكوفي، أصله من أصبهان، ثقة من السابعة -

انظر التقريب ١ / ٥١٨

(٧١) هقل - بكسر أوله وسكون القاف - ابن زياد السكسكي، بمهملتين بينهما كاف ساكنة، الدمشقي نزيل بيروت، قيل هو لقب، واسمه محمد أو عبد الله، وكان كاتب الأوزاعي - ثقة من التاسعة - مات سنة ٧٩ هـ .

انظر التقريب ٢ / ٣٢١

(٧٢) وفي القرآن ﴿وَكُفِّ بَرِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾. (الاسراء ١٧).

(٧٣) قاتل الله البدع والمبتدعة، فما أكثر أصنافهم في يومنا هذا، وشرهم عظيم لا يخفى من نشر الإلحاد والزندقة.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في «إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان» ١: ٦٩ «وما أحسن ما قال أبو شامة في كتاب «الحوادث والبدع»: حيث جاء الأمر بلزوم الجماعة، فالمراد به لزوم الحق وتباعه، وإن كان المتمسك به قليلاً والمخالف له كثيراً. لأن الحق هو الذي كانت عليه الجماعة =

من الجدال^(٧٤) مايفتن القلب ، ونبت الضغينة ، ويجني القلب ، ويرق الورع في المنطق والفعل ، ولا تكن ممن يمتحن من لقي بالأوابد^(٧٥) ، وما عسى أن يفترى به أحد ، وليكن ماكان منك على سكينه^(٧٦) وتواضع تريد به الله ، وليعنك ماعنى الصالحين قبلك ، فإنه قد أعظمهم ثقل الساعة ، فجرت على خدودهم من الخشوع دموعهم ،

الأولى من عهد النبي ﷺ وأصحابه. ولا نَظَرَ إلى كثرة أهل البدع. قال عمرو بن ميمون الأودي: صَحِبْتُ معاذاً باليمن، فما فارقتهُ حتى وارتته في التراب بالشام، ثم صَحِبْتُ بعده أَقْفَةَ الناس: عبدالله بن مسعود رضى الله عنه، فسمعتهُ يقول: عليكم بالجماعة، فإنَّ يدَ الله على الجماعة. ثم سمعته يوماً من الأيام وهو يقول: سيلي عليكم ولَاةٌ يُؤخرون الصلاة عن مواقيتها، فصلوا الصلاة ليقاتها، فهي الفريضة، وصلوا معهم، فإنها لكم نافلة. قال: قلت يا أصحاب محمد، ما أدري ما مُحَدِّثُونَا؟ قال: وماذا؟ قلت: تأمرني بالجماعة وتحضني عليها، ثم تقول: صَلِّ الصلاة وحدك، وهي الفريضة، وصلَّ مع الجماعة وهي نافلة؟ قال: يا عمرو بن ميمون، قد كنتُ أَظُنُّكَ من أَقْفَةِ أَهْلِ هذه القرية، تدري ما الجماعة، قلت: لا، قال: الجماعة ما وافق الحقَّ وإن كنتَ وحدك.

وفي لفظ آخر: فضرب على فخذي وقال: وبحك! إنَّ جمهور الناس فارقوا الجماعة، وإن الجماعة ما وافق طاعة الله عز وجل.

وقال نُعَيْم بن حَمَاد: إذا قَسَدَت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن تَفْسُدَ، وإن كنت وحدك، فإنك أنت الجماعة حيثنظ. ذكره البيهقي وغيره.

(٧٤) الجدال والمراء وطرق أحاديثه من (كشف الخفاء) ١ / ٤١٦.

«ذروا المراء» رواه مسلم وأحمد عن جابر، في الباب عن جماعة كثيرين، ولأبي داود عن أبي هريرة رفعه: المراء في القرآن كفر، ورواه أحمد ومسلم والديلمي في الفردوس عن جابر بلفظ ذروا المراء فإن الشيطان قد أيس أن تعبدوه - الحديث، ورواه الديلمي أيضاً عن أبي الدرداء وأبي أمامة وأنس في حديث أوله «يا أمة محمد، ذروا المراء، فإن الماري لا أشفع له يوم القيامة»، قال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الديلمي بعد إيراد ما تقدم ما نصه: وبه ذروا المراء، فإن نفعه قليل، وبهيج العداوة بين الإخوان، وبه: ذروا المراء تأمنوا فتنه، وبه: ذروا المراء، فإن المراء يورث الشرك ويحبط العمل، وبه: ذروا المؤمن فإن المؤمن لا ياري، وبه: ذروا المراء فإن الماري تمت خسارته، وبه: ذروا المراء، فإنه أول ما نهاني عنه ربي بعد عبادة الأوثان وشرب الخمر. وبه: ذروا المراء، فكني بك إثماً أن لاتزال ممارياً انتهى.

(٧٥) الأوابد: الوحش، الذكر أبد، والأثنى أبدة، وقيل: سميت بذلك لبقائها على الأبد، قال الأصمعي: (لم يمت وحشى حتف أنفه قط ، وإنما موته عن آفة ، وكذلك الحية فيما زعموا) - لسان العرب ٣ / ٦٨.

(٧٦) السكينة: الوداعة والوقار وقوله تعالى: ﴿ففيه سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ السكين (السكينة: مغنم، وتركها مغرم) وفي حديث الدفع عن عرفة (عليكم بالسكينة والوقار) انظر - لسان العرب ١٣ / ٢١٤.

وطبوا من خوف على ظمأ منا هلهم^(٧٧) عناهم على أنفسهم ، وراحتهم على الناس .
نسأل الله أن يرزقنا وإياك علماً نافعاً ، وخشوعاً يؤمننا به من الفرع الأكبر ، إنه أرحم
الراحمين ، والسلام عليك .

* حدثنا إسحاق بن أحمد ، ثنا إبراهيم بن يوسف بن خالد ، ثنا
أحمد بن أبي الحواري ، ثنا محمد بن يوسف الفريابي^(٧٨) ، عن الأوزاعي . قال :
سألني عبد الله بن علي^(٧٩) - والمسودة قيام على رؤسنا بالكافر كوبات^(٨٠) -

(٧٧) المناهل : قال في لسان العرب ١١ / ٦٨١ : (والمنهل : المشرب ، ثم كثر ذلك حتى سميت منازل
السفار على المياه مناهل . وفي حديث الدجال : (إنه يرد كل منهل) .

(٧٨) محمد بن يوسف بن واقد الضبي مولاهم الفريابي ، بكسر الفاء وسكون الراء ، ثقة فاضل ، مات
سنة ١٢ من التاسعة .
قاله في التقريب .

(٧٩) عبد الله بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب .
انظر التقريب ١ / ٤٣٤ .

(٨٠) والمسودة قيام على رأسنا بالكافر كوبات) : فرع من الشرطة بأدواتها وسلاحها - فيما ظهر لي ،
والله أعلم ويؤيده ما قاله الحاكم : حدثنا أبو بكر الإسماعيلي إملاءً ، أنبأنا محمد بن خلف بن
المززرقي ، أنبأنا أبو تَشَيْط محمد بن هارون ، حدثنا الفريابي ، قال : اجتمع الثوري ، والأوزاعي
وعَبَّاد بن كثير بمكة ، فقال الثوري للأوزاعي : حدثنا يا أبا عمرو حديثك مع عبد الله بن علي .
قال : نعم ، لما قَدِمَ الشام ، وقَتَلَ بني أمية ، جلس يوماً على سريرهِ ، وعَبَّأ أصحابه أربعة
أصناف : صنفت معهم السيوف المسللة ، وصنفت معهم الجزرة ، أظنها الأطيار ، وصنفت معهم
الأمعية ، وصنفت معهم الكافر كوب ، ثم بعث إليّ ، فلما صيرت بالباب ، أنزلوني ، وأخذَ اثنان
بعضديّ ، وأخلوني بين الصفوف حتى أقاموني مقاماً يسمع كلامي ، فسَلَمْتُ . فقال : أنت
عبد الرحمن ابن عمرو الأوزاعي ؟ قلت : نعم ، أصلح الله الأمير . قال : ماتقول في دماء بني
أمية ؟ فسأل مسألة رجل يريد أن يقتل رجلاً - فقلت : قد كان بينك وبينهم عهد . فقال :
وتحك ! اجعلني وليّاهم لا عهدَ بيننا . فأجهشت نفسي ، وكرهت القتل ، فذكرتُ مُقامي بين
يدي الله عزّ وجلّ ، فلفظتها ، فقلت : دماؤهم عليك حرام ، فغضِب ، وانتفضت عيناه
وأوداجه ، فقال لي : ويحك ، ولم ؟ قلت : قال رسول الله ﷺ : « لا يَحِلُّ دَمُ أَمْرِيءٍ مُسْلِمٍ إِلَّا
بِأَخْذِ ثَلَاثٍ : ثَبِّبَ زَانٍ ، وَنَفْسٌ بِنَفْسٍ ، وَتَارِكٌ لِدِينِهِ » . قال : ويحك ، أو ليس الأمر لنا ديانة ؟ !
قلت : وكيف ذاك ؟ قال : أليس كان رسول الله ﷺ أوصى إلى علي ؟ قلت : لو أوصى إليه ما حَكَمَ
المحكمين . فسكت ، وقد اجتمع غَضَباً ، فجعلت أتَوَقَّعُ رأسي تقع بين يدي ، فقال بيده : هكذا أوما
أن أخرجه - فخرجْتُ ، فركبت دابتي ، فلما سيرتُ غير بعيد ، إذا فارسٌ يتلوني ، فتركتُ إلى الأرض ، =

فقال: أليس الخلافة وصية لنا من رسول الله ﷺ قاتل عليها علي بصفين؟ قال: قلت: لو كانت وصية من رسول الله ﷺ ماحكم علي. الحكمين، قال: فنكس رأسه.

* حدثنا أبي وأبو محمد بن حيان، قالا: ثنا إبراهيم بن محمد بن الحسن، ثنا عباس بن الوليد بن مزيد^(٨١)، أخبرني أبي، ثنا الأوزاعي. قال: قال سليمان عليه السلام لابنه: يا بني عليك بخشية الله، فإنها غلبت كل شيء، وبلغني أن سليمان عليه السلام قال: يا معشر الجبابرة، كيف تصنعون إذا رأيتم الجبار، فترون قضاه؟ يا معشر الجبابرة، كيف تصنعون إذا وضع الميزان لفصل القضاء، وقال سليمان عليه السلام: من عمل سوءاً فبنفسه بدأ. وقال سليمان عليه السلام: كل عمى ولا عمى القلب^(٨٢)، وقال سليمان عليه السلام: هو العلماء خير من حكمة الجاهلاء. حدثنا أبو حامد الخطري، ثنا أبو نعيم بن عدي، ثنا العباس بن الوليد بن مزيد، أخبرني أبي. قال: قال

فقلبت: قد بعث ليأخذ رأسي، أصلي ركعتين، فكثرت، فجاء - وأنا قائم أصلي - فسلم، وقال: إن الأمير قد بعث إليك بهذه الذنائب فخذها فخذتها، ففرقتها قبل أن أدخل منزلي. فقال سفيان: ولم أرك أن تجيئ جئ قال لك ما قال.

الوليد بن مزيد: سمع الأوزاعي يقول: لا ينبغي للإمام أن يخص نفسه بشيء من الدعاء، فإن قل ففقد خانهم.

(٨١) الوليد بن مزيد العذري، أبو العباس البيروني، ثقة ثبت، من الثامنة مات سنة ٨٣ هـ . انظر التقريب ٢ / ٣٢٥.

(٨٢) طرق حديث (ليس الأعمى من عمى بصره، الأعمى من عميت بصيرته).

(ليس الأعمى من عمى بصره الأعمى من عميت بصيرته) رواه: البيهقي في الشعب، والعسكري والدلمي عن عبد الله بن جراد مرفوعاً، قال العسكري: البصيرة الاستبصار في الدين، يقال: فلان حسن البصيرة، إذا كان بصيراً بدينه. ولما قال معاوية لعقيل بن أبي طالب: مالكم يا بني هاشم تصابون في أبصاركم؟ فقال: كما تصابون يا بني أمة ببصائرهم. في التنزيل ﴿لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر﴾ فإنها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور، وروى البيهقي عن أبي عبيد بن حريبه أنه ذكره عنده القاضي منصور بن إسماعيل الفقيه فقال: ذاك الأعمى، فأنشأ يقول:

ليس العمى أن لا تُرى بل العمى أن لا تُرى

مميزاً بين الصواب والخطأ

الأوزاعي: هو العلماء خير من حكمة الجهلة^(٨٣).

* حدثنا أبي وأبو محمد بن حيان، قالا: ثنا إبراهيم بن محمد بن الحسن، ثنا عباس بن الوليد، أخبرني أبي. قال: سمعت الأوزاعي يقول: بلغني أنه ما وعظ رجل قوماً لا يريد به وجه الله إلا زلت عنه القلوب كما زل الماء عن الصفا. قال: وسمعت الأوزاعي يقول: ليس ساعة من ساعات الدنيا إلا وهي معروضة على العبد يوم القيامة، يوماً فيوماً، وساعة فساعة، ولا تمر به ساعة لم يذكر الله تعالى فيها إلا تقطعت نفسه عليها حسرات^(٨٤) كيف إذا مرت به ساعة مع ساعة، ويوم مع يوم [وليلة مع

(٨٣) ومثله نوم العالم وصمته تسبيح، وعلمه مضاعف، ودعاؤه مستجاب.

رواه البيهقي بسند ضعيف عن عبدالله بن أبي أوفى. لكن روى أبو نعيم في الحلية عن سلمان: «نوم على علم خير من صلاة على جهل»، لأن العالم ينوي التقوى على الطاعة بخلاف الجاهل. وروى: «نوم الظالم عبادة» لأن فيه ترك الظلم. وقد ورد في مناقب الشافعي للإمام البيهقي: أنه قال: (العلم جهل عند أهل الجهل، كما أن الجهل جهل عند أهل العلم ثم أنشأ يقول:

ومنزلة الفقيه من السفيه كمنزلة السفيه من الفقيه
فهذا زاهد في قرب هذا وهذا فيه أزهده منه فيه

ومثله حديث «نظرة في وجه العالم أحب إلى الله من عبادة ستين سنة صياماً وقياماً» كذا في نسخة سمعان بن المهدي عن أنس مرفوعاً، وأورده الدبلي بلا سند عن أنس مرفوعاً بلفظ: النظر إلى وجه العالم عبادة، وكذا الجلوس معه، والأكل والكلام. ولا يصح شيء من ذلك كله، كما سبق ذلك، قال القاري: وقد ورد النظر إلى وجهه على عبادة - رواه الطبراني والحاكم عن ابن مسعود وعمران ابن الحصين. انتهى لكن قال الحاكم: صحيح وقال: رواه الذهبي أنه موضوع باطل، وأورده ابن الجوزي في الموضوع، وتعقبه السيوطي بأنه ورد من رواية أحد عشر صحابياً.

(٨٤) الحسرة على تسرب الوقت وضياح نعمة الفراغ. وانظر كشف الحفاء.

«نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ» رواه البخاري في صحيحه عن ابن عباس رفعه، وفي رواية عنه مرفوعاً: نعمتان الناس فيها متغابنون: الصحة والفراغ، وفي الباب عن أنس وغيره. وكان الحسن البصري يقول: ابن آدم، نعمتان عظيمتان، المغبون فيهما كثير: الصحة والفراغ، فهلا مهلاً، الثواء هنا قليل - أخرجه ابن عساكر، وقال: الصحة عند بعضهم الشباب. قال: والعرب تجعل مكان الصحة الشباب، كما قالوا: بالقلب الفارغ والشباب المقبل تكسب الآثام. وكان يقال: إن لم يكن الشغل محمداً كان الفراغ مفسداً، ولا تنزع قلبك من فكر، ولا ولدك من تأديب، ولا عبدك من مصلحة، فإن القلب الفارغ يبحث عن السوء، واليد الفارغة تنازع إلى الآثام، وقال أبو العتاهية: =

علمت يا مجاشع بن مسعدة أن الشباب والفراغ والجد
مفسدة للمرء أي مفسده

وفي رواية: مفسدة للدين بدل للمرء، وأنشد البيهقي في الشعب لأبي عصمة محمد السخيتاني:

أحمدنا خير بني آدم وما على أحمد إلا البلاغ
الناس مغبونون في نعمة صحة أبدانهم والفراغ
وما أحسن قول بعض العصريين:

يامن له نعم علينا سابعة وله العطايا والمنن
اشغل بجبك يا قدير قلوبنا فالعشق يعرض للقلوب الفارغة

قال العسكري: وسمعت ابن دريد يقول: إن أفضل النعم العافية والكافية، فمن عوفي وكفي فقد عظمت عليه النعمة، ومن كلمات بعض السلف: سيروا إلى الله عرجاً ومكاسير، ولا تنتظروا الصحة، فإن انتظار الصحة بطلاة.

قول الأوزاعي (فكيف إذا مرت به ساعة مع ساعة.. إلخ) وكلام نفيس لشيخ شيوخنا أبي غده حفظه الله في كتابه النفيس (قيمة الزمن عند العلماء ص ٨٢) الوقت هو الحياة: أما أن تكون الغاية هي قتل الوقت، فليست غاية مشروعة، لأن الوقت هو الحياة، فقتل الوقت قتل الحياة! فالذين يصرفون أوقاتهم الطويلة في نرد أو شطرنج أو لغو أو هو غير مشروع، لا يعملون لغاية يرتضيها العقل، وكذلك الذين يتسكعون في المقاهي والأندية والطرفات، لا يطلبون إلا قتل الوقت، كأن الوقت عدو من أعدائهم!

ومفتاح العلاج لهذه المشكلة: الاعتقاد بأن الإنسان يستطيع أن يغير موضوعات حبه وكرهه كما يشاء، ويستطيع أن يغير ذوقه كما يشاء، فيستطيع أن يمرن ذوقه على أشياء لم يكن يتذوقها من قبل، وعلى كراهية أشياء كان يحبها من قبل، ففي استطاعة أغلب الناس - إذا قويت إرادتهم - أن يمتسوا أوقات فراغهم إلى ما ينفعهم صحياً، وإلى ما ينفعهم عقلياً، وإلى ما ينفعهم دينياً.

ومن الأسف أن عامة الناس يعتقدون أن قراءة القصص الخفيفة والمجلات الرخيصة كافية لغذاء عقولهم، فهم يلتمسونها التهاماً، ويكتفون بها في لذتهم العقلية، وهي ليست إلا عذراً للعقل، أو مثبهاً للغرائز الجنسية. وقليل من الصبر وقوة الإرادة يجعل المتعلم صالحاً للدراسة الجدية والقراءة المفيدة.

وكل مثقف يستطيع أن يحرك في نفسه هوىً لشيءٍ جذبي، في نوع من أنواع المعارف، يدرسه ويتوسل فيه ويتمقه، سواء كان أدباً، أو حيواناً، أو أزهاراً، أو ميكانيكاً، أو تاريخ عصر من العصور، أو أي ضرب من ضروب المعارف الإنسانية. ثم يثير رغبته فيه، ثم يخصص جزءاً من يومه لدراسته والاهتمام به:

فإذا هو إنسان آخر، له ناحية من نواحي القوة، وله شخصيته المحترمة، وله نفعه لنفسه ولأبناء جنسيه وسواهم.

وإذا الأئمة غنية بأبنائها في شتى فروع العلم والمعارف والفنون، نعتد على كل متخصص فيما تخصص فيه من نواحي الحياة.

وإذا الناس في مجالسهم يرق حديثهم، ويسئمو تفكيرهم، وتنضرو حياتهم، ويكتسب بعضهم من بعض ثقافة وعلماً وأدباً وسلوكاً وتقديراً للزم.

وإذا الثقافة ارتقت، والعقول اتسعت، والحياة ستمت، والقوة ازدادت، وسبل المعيشة تيسرت وازدهرت.

إذ ذاك يشعرون الناس أن عليهم واجباً أن يُغذوا عقولهم كما يُغذون معدائهم، وأن لا حياة لهم بدون غذاء، ولا غذاء بدون محافظة على الزمن وكسبه والاستفادة المثلى فيه، وعندئذ يرتقي المجتمع وأهله بيئة وفكراً وصناعة وإنتاجاً وعطاءً ونفعاً.

اجعل شعرك دائماً أن تسائل نفسك: (ماذا عملت في وقت فراغي؟) هل كسبت صحة، أو مالاً، أو علماً، أو نفعاً لنفسي أو لغيري؟ وانظر هل خضع فراغك لحكم عقلك؟ فكان لك غاية محمودة، صرفت فيها زمك؟ إن كان كذلك فقد نجحت، وإلا فحاول حتى تنجح.

أخيلني ببذي الصبر أن يحظى بحاجته

ومؤمن القرع للأبواب أن يلجا

فقليل من الزمن يُخصص كل يوم لشيء معين، قد يغير عندك مجرى الحياة، ويجعلك أقوم مما تتصور، وأرق مما تتخيل.

إن الأئمة تعيش عشر ما ينبغي أن تعيش! أو أقل من ذلك! سواء في إنتاجها المالي، أو ثقافتها العقلية، أو حالتها الصحية، وباق حياتها هدر، في كسل أو خمول! أو بين زرد وشطرنج، وهو ولغو! أو في لا شيء! ولا يتقصها لتعيش كما ينبغي إلا أن تكتشف طريقة ملء الزمن وخصومه لحكم الشرع والعقل. انتهى

وقفنا الله وإياك أيها القارئ الكريم إلى حفظ الوقت ومثليته بالعمل الصالح والعلم النافع، وجعلنا من الذين يعرفون قيمة الزمن والحياة، فلا يغبنون أنفسهم ولا أمتهم وبلادهم، ولا يفرطون في اكتساب يتم الله عليهم، وأولئك هم الراشدون.

وقال الشاعر الأديب المصري أحمد شوقي رحمه الله تعالى:

دَقَاتُ قَلْبِ المرءِ قَانَلَهُ لَه: إِنَّ الحَيَاةَ دَقَائِقُ وَثَوَانِ

فَارْزُقْ لِنَفْسِكَ بَعْدَ مَوْتِكَ ذِكْرَهَا فَالذِّكْرُ لِلْإِنْسَانِ عُزْرٌ ثَانِي

وإنَّ العُمُرَ الطَوِيلَ يَقْضِي يوماً بَعْدَ يَوْمٍ، وَكَثِيراً مَا تَسْمَى أَنَّهُ يَمْضِي مُسْرِعاً وَلَا يَعُودُ، فَتَعَفَّلْ عَنِ =

اكتسابه والانتفاع به ، قال الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه : ما شَبَّهْتُ الشبابَ إلا بشيءٍ كان في كُفِّي فسَقَطَ ! . وقد عاش ٧٧ سنة .

ومن المؤسف أنه قد انتشر في صفوف طلبة العلم اليوم : الكَسَلُ العقلي ، وَغَلَبَ عليهم يثارُ الراحةِ والدَّعةِ على الجِدِّ والدَّأبِ ، وصارت الرفاهيةُ وأنواعُ من الفضولِ مقصداً من مقاصد الحياة عندهم ، وَغَدَتْ التُّنَعُ مطلباً من مطالبهم ، فلم يبقَ لديهم وقتٌ للدرس والتَّحصيل ، وصارَتْ حالُهم تُشَبِّهُ حالَ من عَنَاهُ الإمامُ أحمدُ بن فارس الرازيُّ اللغويُّ ، المولود سنة ٣٢٩ ، والمتوفى سنة ٣٩٥ رحمه الله تعالى بقوله :

إذا كان يُؤْذِلُكَ حَرُّ المَصِيفِ وَيُؤَسِّسُ الخَرِيفِ وَيَزِدُّ النِّشَا
وَيُلْهِيكُ حُسْنَ زَمَانِ الرَّبِيعِ فَأَخْذُكَ لِلْعِلْمِ قُلْ لِي مَتَى ؟!

وكان العلامة الكبير أبو المعالي محمود شكري الآلوسي البغدادي ، الحفيد ، الأديب ، المتوفى سنة ١٣٤٢ رحمه الله تعالى ، يمتاز بالجدِّ الشديد والحرص على الوقت ، فكان لا يثنيه عن دروسه حَمَارَةُ القَيْظِ ، ولا يُؤَخِّرُهُ عنها قُرُصُ بَرْدِ الشتاء ، وكثيراً ما تعرَّضَ تلاميذه - بسبب تأخرهم عن موعد الدرس - إلى النقد والتعنيف .

قال عنه تلميذه العلامة الشيخ بهجة الأثري : أذكرُ أنني انقطعتُ عن حضور درسه في يوم مُرَجِجٍ ، شديد الريح ، غزير المطر ، كثير الوحل ، ظناً مني أنه لا يحضرُ إلى المدرسة ، فلما شَخَّصْتُ في اليوم الثاني إلى الدرس ، صار يُشِيدُ بلهجةٍ غضبان :

ولاخَيْرَ فيمن عاقَهُ الحرُّ والبرْدُ

وقد يخيلُ لبعضهم أنَّ الأيامَ ستَفْرُغُ له في المستقبل من الشواغل ، وتَصْفُو له من المكدراتِ والعوائق ، وأنه سيكون فيها أفرغَ منه في الماضي أيام الشباب ، ولكنَّ الواقعَ المُشَاهِدَ على العكس من هذا أيها الأُخ العزيز :

كلما كَبُرَتْ سِنُّكَ ، كَبُرَتْ مسؤوليَّاتُكَ ، وزادتْ علاقاتُكَ ، وضاقَتْ أوقَاتُكَ ، وتَقَصَّصَتْ طاقَاتُكَ ، فالوقتُ في الكِبَرِ أَضيقُ ، والجسمُ فيه أضعفُ ، والصحةُ فيه أقلُّ ، والنشاطُ فيه أدنى ، والواجباتُ والشواغلُ فيه أَكثَرُ وأشدُّ ! فبادر ساعاتِ العمرِ وهي سائحةٌ ، ولا تتعلقِ بالعائبِ المجهولِ ، فكلُّ ظَرْفٍ مملوءٌ بشواغله وأعمالِهِ ومُفاجآتِهِ .

ثم رأيتُ الحافظَ الإمامَ السيوطي رحمه الله تعالى ، أشار إلى حاجةِ طالب العلم للسرعة في الاكتمال أيضاً ، مع السرعة في المشي والكتابة ، كسباً للوقت ، في بيتين لطيفين قالهما ، وهما :

حَدَّثَنَا شَيْخُنَا الْكِتَابِيُّ عَنْ أَبِيهِ صَاحِبِ الْخِطَابَةِ

أسرع أُنحَا العلم في ثلاثِ الأكليلِ والمشِي والكَتَابَةِ

وشَيْخَةُ الْكِتَابِي الْمَشَارُ إِلَيْهِ هُنَا هُوَ: الْإِمَامُ قَاضِي الْقَضَاةِ عَزَّ الدِّينُ أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابِي الْمَصْرِي الْحَنْبَلِي، رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى.

فَعَلَيْكَ أَيُّهَا الْأَخُ الْقَاضِلُ، وَالْفَهْمُ الذَّكِيُّ الْعَاقِلُ، أَنْ تَحْفَظَ عَلَى نَفْسِكَ: وَقْتُكَ مِنْ أَنْ يَذْهَبَ هَذَرًا وَسُدَى، فَإِنَّ الزَّمَانَ الَّذِي تَعِيشُ فِيهِ ظَرْفٌ عَابِرٌ لَا يَتَجَدَّدُ وَلَا يَعُودُ، وَقَدْ قِيلَ:

مَاضِي فَاتٌ وَالْمَوْئِلُ غَيْبٌ وَلَكَ السَّاعَةُ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا
فَاحْرِصْ عَلَى كَسْبِ الزَّمَنِ وَالِانْتِفَاعِ بِهِ بِتَنْظِيمِ نَفْسِكَ وَأَعْمَالِكَ وَأَوْقَاتِكَ: مُتَعَلِّمًا أَوْ مُؤَلِّفًا أَوْ
مُطَالَعًا أَوْ مُسْتَمْعًا أَوْ قَارِئًا تَالِيًا أَوْ عَابِدًا زَاكِيًا، وَلَا تَكُنْ ظَالِمًا نَفْسِكَ فِي قَتْلِ الْوَقْتِ، مَبْدَدًا لِسَاعَاتِ
حَيَاتِكَ وَلِحَظَاتِ وَجُودِكَ! غَابِنًا مَغْبُورًا فِي عَمْرِكَ!!
وَأَنْ أَهَمُّ مَا يُسَاعِدُ عَلَى اغْتِنَامِ الْوَقْتِ: تَنْظِيمُ الْأَعْمَالِ، وَالِانْحِيَاشُ عَنِ الْمَجَالِسِ الْفَارِغَةِ الْخَاوِيَةِ، وَتَرْكُ
الْفُضُولِ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَمَصَاحِبَةُ الْمَجْدِينَ النَّبَاهِ الْأَذْكَيَاءِ الْمُتَقِظِينَ لِلْوَقْتِ وَالِدَقَائِقِ، وَقِرَاءَةُ أَخْبَارِ
الْعُلَمَاءِ الْأَفْذَاذِ أَصْحَابِ التَّرَاجِمِ الْحَافِظَةِ—كَالَّذِينَ سَبَقَتْ بَعْضُ أَخْبَارِهِمْ—، وَالتَّذَادُّ الْمَرَّةَ بِمَجْلَافٍ كَسَبِ
الْوَقْتِ فِي الْإِنْتِاجِ الْعِلْمِيِّ، وَالِانْغَاظُ فِي مَتْعَةِ الْمَطَالَعَةِ وَالِاسْتِرَادَةِ مِنَ الْمَعْرِفَةِ وَالِاطْلَاعِ وَتَنْقِيحِ الْمَعْلُومَاتِ.
فَإِنَّ ذَلِكَ يُعْرِفُكَ بِقِيَمَةِ الزَّمَنِ، وَيُلْهِيكَ فِيكَ الْحِفَافَ عَلَيْهِ، وَيَجْعَلُكَ تَكْسِيَةً لِأَثْيَدِهِ، وَتَحَافِظًا
عَلَيْهِ وَلَا تَضْيَعِهِ. وَقَدْ قَالَ الْأَسَاطِذُ النَّاصِحُ الرَّاشِدُ الْمُرْشِدُ حَسَنُ الْبَنَاءِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: مِنْ عَرَفَ
حَقَّ الْوَقْتِ، فَقَدْ أَدْرَكَ الْحَيَاةَ، فَالْوَقْتُ هُوَ الْحَيَاةُ. وَقَالَ الْفَقِيهُ الشَّاعِرُ الْأَدِيبُ عُثْمَانُ بْنُ عُمَرَ الْيَمْنِي،
الْمُتَوَفَى سَنَةَ ٥٦٩ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، مِنْ قَصِيدَةٍ لَهُ فِي تَرْجُمَتِهِ فِي كِتَابِ «وَفَيَاتِ الْأَعْيَانِ»
لِلْقَاضِي ابْنِ خُلْكَانَ:

إِذَا كَانَ رَأْسُ الْمَالِ عُمْرُكَ فَاحْتَرِزْ

عَلَيْهِ مِنَ الْإِنْفِقَاقِ فِي غَيْرِ وَاجِبٍ

فَبَيْنَ اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالصُّبْحِ مَعْرُكٌ

يَكْرَهُ عَلَيْنَا جَيْشُهُ بِالْعَجَائِبِ!

وَمَا أَصْدَقُ وَأَجْمَلُ قَوْلُ الْإِمَامِ بَهَاءِ الدِّينِ ابْنِ النَّحَاسِ الْحَلَبِيِّ النُّحُورِيِّ الْمُتَوَفَى سَنَةَ ٦٨٩ رَحِمَهُ اللَّهُ
تَعَالَى إِذَا يَقُولُ:

الْيَوْمَ شَيْءٌ وَغَدًا مِثْلُهُ مِنْ نُحْبِ الْعِلْمِ الَّتِي تُلْتَقِظُ

يُحْصَلُ الْمَرْءُ بِهَا حِكْمَةٌ وَإِنَّا السَّبِيلُ اجْتِنَاعِ النُّقْطِ

وَسَاعَنِي أَيُّهَا الْقَارِئُ فَقَدْ أَطْلُتُ عَلَيْكَ فِي هَذِهِ التَّعْلِيْقَةِ، وَلَكِنْ أَرْجُو أَنْ يَنْفَعَكَ اللَّهُ بِهَا لِتَعْرِفَ قِيَمَةَ
الْوَقْتِ، فَإِنَّهُ أَرْخَصُ مَا يَكُونُ عِنْدَ الْجُهَالِ، وَأَعْلَى مَا يَكُونُ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ وَالْعُقَلَاءِ، فَهُوَ قَوَامُ عِلْمِهِمْ وَعِمَادُ

حياتهم. وإذا كنتَ عرفتَ حالَ الإمام أبي الوفاء ابن عقيل الحنبلي في محافظته على وقته، وجرحه على الانتفاع به في كل نفس من أنفاسه، حتى إنه كان يختارُ سَفَّ الكعك وتحسُّهُ بالماء على مَضْغِ الخبز، لأجل ما بينها من التفاوت في الوقت، ليتوفَّر على مطالعة، أو تستطير فائدة، أو القيام بعبادة. فإليك حال الشيخ الإمام ابن الجوزي، الذي اقتدى به في سيرته حتى كاد أن يكون إياه، لتشهده كيف كان يعرفُ شرفَ الوقت وقيمتَه، وكيف كان يكسِبُ الوقت إذا زاره ضيوف أو نَزَلَ به ثُقلاء بَطَّالون. قال رحمه الله تعالى في كتابه «صيد الخاطر» ٤٦:١ و ٢٠١ و ٣١٨:٢ - ٣١٩:

ينبغي للإنسان أن يعرفَ شرفَ زمانه، وقَدَرَ وقته، فلا يُضَيِّعُ منه لحظةً في غرُوبة، ويُقدِّمُ الأفضلَ فالأفضلَ من القول والعمل. ولكنَّ نيَّتَه في الخير قائمة من غير فتور، بما لا يعجزُ عنه البدن من العمل، كما جاء في الحديث: «نِيَّةُ الْمُؤْمِنِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ». وقد كان جماعة من السلف يُبَادِرُونَ اللَّحَظَاتِ، فَنُقِلَ عَنْ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ قَيْسٍ - أحد التابعين العبَّاد الزهاد - أنَّ رجلاً قال له: (كَلِّمْني)، فقال له عامر: أَمْسِكِ الشَّمْسَ.

وقد رأيتُ عمومَ الخلائق يدفعون الزمانَ دفعاً عجبياً! إن طال الليلُ فبحديث لا ينفع، أو بقراءة كتاب فيه غَزَلٌ وسَمَرٌ، وإن طال النهارُ فبالنوم، وهم في أطراف النهار على دِجَلَةٍ أو في الأسواق - وكان ابنُ الجوزي يعيش في بغداد - فشبهتهم بالمتحدِّثين في سفينة وهي تجري بهم، وما عندهم خبر! ورأيتُ النادرين قد فهمُوا معنى الوجود، فهم في تبعَةِ الزاد والتأهَّب للرجيل، فالله الله في مواسم العمر، والبدارَ البدارَ قبل القوات!.

وأعوذ بالله من ضجة البطَّالين! لقد رأيتُ خلقاً كثيراً يَجْرُونَ معي فيما قد اعتاده الناس من كثرة الزيارة، ويُسمِّون ذلك التردُّدَ خدمة، ويُطيلون الجلوس، ويُجرون فيه أحاديثَ الناس وما لا يعنى، ويتخلَّله غيبة. وهذا شيء يفعلُه في زماننا كثير من الناس، وربما طلبه المزور، وتشوَّقَ إليه، واستوحش من الوحدة، وخصوصاً في أيام التَّهاني والأعياد، فتراهم يمشي بعضهم إلى بعض، ولا يقتصرون على الهناء والسلام، بل يمزجون ذلك بما ذكرته من تضييع الزمان!

فلما رأيتُ أنَّ الزمانَ أشرفُ شيء، والواجبُ انتهائُه بفعل الخير، كَرِهْتُ ذلك، وبقيتُ معهم بين امرين: إن أنكرتُ عليهم وقتَ وخشنة لموضع قَطْعِ المألوف، وإن تقبَّلتُ منهم ضاع الزمان! فصيرتُ أدافعَ اللقاء مُجهدي، فإذا غُلِيْتُ قصَّرتُ في الكلام لأنَّجِلَ الفراق. ثم أعددتُ أعمالاً لا تمنع من المحادثة، لأوقات لقائهم، لئلا يمضي الزمان فارغاً، فجعلتُ من الاستعداد للقائهم قَطْعَ الكاغد - أي قَصَّ الوَرَقِ - ويزي الأعلام، وحزَمَ الدفاتر، فإنَّ هذه الأشياء لا بُدَّ منها، ولأحتاجَ إلى فكر وحضور قلب، فأرصدتها لأوقات زيارتهم، لئلا يضيع شيء من وقتي.

ليلة]. وبإسناده. قال سمعت الأوزاعي يقول: إن المؤمن يقول قليلاً ويعمل كثيراً، وإن المنافق يقول كثيراً ويعمل قليلاً^(٨٥).

* حدثنا محمد بن معمر، ثنا أبو شعيب الحراني، ثنا يحيى بن عبد الله^(٨٦)، ثنا الأوزاعي. قال: بلغني أن في السماء ملكاً ينادي كل يوم ألا ليت الخلاق لم يخلقوا، وباليتهم إذ خلقوا عرفوا لما خلقوا له، وجلسوا مجلساً فذكروا ما علموا.

* حدثنا محمد بن عمر سليم، ثنا جعفر بن محمد الفرياني، ثنا المسيب بن واضح، ثنا أبو إسحاق الفزاري^(٨٧) عن الأوزاعي. قال: كان يقال: خمس كان

(٨٥) المنافق يقول كثيراً، ويعمل قليلاً، أو لا يعمل... وما أكثر من يقول، ولا يعمل إلا اللهم واليسير الذي لا يبيح وجهاً، والمسلم ينبغي أن يكون عمله أكثر من قوله.

(٨٦) يحيى بن عبد الله بن الضحاك البجلي - بموحدتين ولام مضمومة، ومثناة ثقيلة - أبو سعيد الحراني، ابن امرأة الأوزاعي - ضعيف من التاسعة، مات سنة ١٨ وهو ابن سبعين - انظر التقريب ٢ / ٣٥١.

(٨٧) أبو إسحاق الفزاري: هو إبراهيم بن محمد بن الحارث بن أسماء بن خارجة بن حفص بن حذيفة الإمام، ثقة حافظ له تصانيف، من الثامنة مات سنة ٨٥ انظر التقريب ١ / ٤١.

«نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها، فأداها كما سمعها، فرب مبلغ أوعى من سامع» رواه أصحاب السنن وغيرهم بطرق كثيرة، وألفاظ مختلفة، عن ابن مسعود رضى الله عنه وغيره، ومن ألفاظه نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فأداها إلى من لم يسمعها، فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، زاد في كثير من طرقه: ثلاث لا يغفل عليهن قلب المؤمن: إخلاص العمل لله، وطاعة ذوي الأمر، ولزوم الجماعة - ذكره السيوطي في الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة. ثم قال في أوله: في كثير من طرقه خطبنا بمسجد الخيف من منى فذكره، ومنها ما رواه أحمد وابن ماجه عن أنس بلفظ نضر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها، ثم بلغها عني، فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه.

«أكثرُوا الصلاة على في الليلة الزهراء واليوم الأغر، فإن صلاتكم تعرض علي»، قال في الأصل: رواه الطبري في الأوسط من حديث أبي مودود عن أبي هريرة مرفوعاً، وقال: تقر به أبو مودود عن محمد بن كعب القرظي، عن أبي هريرة، وله شواهد يثبتها في القول البديع. منها: ما رواه ابن بشكوال بسند ضعيف عن عمر ابن الخطاب مرفوعاً، بزيادة: فادعوا لكم واستغفروا: الليلة الزهراء ليلة الجمعة، واليوم: الأغر يومها، وعزاه في الدور للبيهقي في الشعب والطبراني في الأوسط عن أبي هريرة بلفظ «أكثرُوا الصلاة على في الليلة الغراء واليوم الأزهر، فإن صلاتكم تعرض على، قال النجم: ورواه البيهقي⁼⁼

عليها أصحاب محمد ﷺ والتابعون بإحسان، لزوم الجماعة، وإتباع السنة، وعمارة المسجد، وتلاوة القرآن، والجهاد في سبيل الله.

* حدثنا أبو بكر بن مالك، ثنا عبدالله بن أحمد، حدثني الحسن بن عبدالعزيز، ثنا عمرو بن أبي سلمة التنيسي^(٨٨)، ثنا الأوزاعي. قال: رأيت كأن ملكين عرجائي وأوقفاني بين يدي رب العزة، فقال لي: أنت عبدي عبدالرحمن الذي يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر. فقلت: بعزتك أي رب أنت أعلم، قال: فهبطاني. حتى رداني إلى مكاني.

* حدثنا أبو جعفر محمد بن عبدالله بن سلم القاباني، ثنا محمد بن منصور

أيضا عن ابن عباس بزيادة: ليلة الجمعة ويوم الجمعة، وعند أحمد وأبي داود وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصحاحه عن أوس بن أوس: من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النسخة، وفيه الصعقة، فأثكروا علي من الصلاة، فإن صلاتكم معروضة علي. قالوا: يا رسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟ قال إن الله عز وجل حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء، ورواه البيهقي بأسناد جيد عن أبي أمامة: أكثروا علي من الصلاة في كل يوم جمعة، فإن صلاة أمتي تعرض علي في كل يوم جمعة، فمن كان أكثرهم على صلاة كان أقربهم مني منزلة، وله عن أنس أكثروا من الصلاة علي في يوم الجمعة وليلة الجمعة، فمن فعل ذلك كنت له شهيدا أو شافعا يوم القيامة، ورواه الطبراني بلفظ: أكثروا الصلاة علي يوم الجمعة، فإنه أتاني جبريل آنفا عن ربه فقال: ما على الأرض من مسلم يصلي عليك واحدة إلا صليت أنا وملائكتي عليه عشرا، ورواه ابن ماجه بإسناد جيد عن أبي الدرداء: أكثروا من الصلاة علي يوم الجمعة، فإنه مشهود، تشهد الملائكة، وإن أحدا لم يصل علي إلا عرضت على صلاته حتى يفرغ منها، قلت: وبعد الموت قال: إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء، ورواه الدارقطني عن ابن المسيب، قال: أظنه عن أبي هريرة بلفظ: من صلى علي يوم الجمعة ثمانين مرة غفر له ذنوب ثمانين سنة. قيل: يا رسول الله، كيف الصلاة عليك؟ قال: تقول: اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي، وتعد مرة واحدة. وهو حسن كما قاله العراقي.

(٨٨) عمرو بن أبي سلمة التنيسي، بمثناه ونون أبو حفص الدمشقي مولى بني هاشم، صدوق له أوهام، من كبار العاشرة مات سنة ١٣.

البهروني، ثنا عبدالله بن عروة^(٨٩)، قال سمعت يوسف بن موسى^(٩٠) القطان يحدث.
أن الأوزاعي قال: رأيت رب العزة في المنام^(٩١) فقال لي: يا عبد الرحمن، أنت الذي
تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ قلت: بفضلك يا رب، فقلت: يا رب، أمتني على
الإسلام! فقال: وعلى السنة.

* حدثنا أحمد بن علي بن الحارث الموهبي، ثنا محمد بن علي بن حبيب ثنا
سليمان بن عمر، ثنا أبي عن موسى بن أعين. قال: قال لي الأوزاعي: يا أبا سعيد، كنا
نمزح ونضحك، فأما إذا صرنا يقتدى بنا، ما أرى يسعنا التبسم^(٩٢).

(٨٩) عبدالله بن عروة بن الزبير بن العوام أبو بكر الأسدي، ثقة ثبت فاضل من الثالثة، بقي إلى
أواخر دولة بني أمية وكان مولده سنة ٤٥ - التقريب ١ / ٤٣٣.
(٩٠) يوسف بن موسى بن راشد القطان، أبو يعقوب الكوفي، نزيل الري ثم بغداد، صدوق، من
العاشرة - مات سنة ٥٣.

(٩١) رؤية الله تعالى في النوم وكلام الحافظ ابن حجر العسقلاني من فتح الباري ١٢ / ٣٨٧.
(تنبيه): جوز أهل التعبير رؤية الباري عز وجل في المنام مطلقاً، ولم يجروا فيها الخلاف في رؤياه
ﷺ، وأجاب بعضهم عن ذلك بأمور قابلة للتأويل في جميع وجوهها، فتارة يعبر بالسلطان
وتارة بالوالد وتارة بالسيد وتارة بالرئيس في أي فن كان، فلما كان الوقوف على حقيقة ذاته ممتنعاً
وجميع من يعبر به يجوز عليهم الصدق والكذب كانت رؤياه تحتاج إلى تعبير دائماً، بخلاف النبي
ﷺ فإذا رأى على صفته المتفق عليها وهو لا يجوز عليه الكذب كانت في هذه الحالة حقاً محضاً
لا يحتاج إلى تعبير. وقال الغزالي: ليس معنى قوله «رأيت» أنه رأى جسمي وبدني، وإنما المراد أنه
رأى مثلاً صار ذلك المثال آلة يتأدى بها المعنى الذي في نفسي إليه، وكذلك قوله «فبراني في
البقطة» ليس المراد أنه يرى جسمي وبدني، قال: والآلة تارة تكون حقيقة وتارة تكون خيالية.
والنفس غير المثال المتخيل، فما رآه من الشكل ليس هو روح المصطفى ولا شخصه، بل هو
مثال له على التحقيق، قال: ومثل ذلك من يرى الله سبحانه وتعالى في المنام، فإن ذاته منزهة
عن الشكل والصورة ولكن تنتهي تعريفاته إلى العبد بواسطة مثال محسوس من نور أو غيره،
ويكون ذلك المثال حقاً في كونه واسطة في التعريف فقول الرائي: رأيت الله تعالى في المنام
لا يعني أنني رأيت ذات الله تعالى كما يقول في حق غيره. وقال أبو القاسم القشيري ما حاصله:
إن رؤياه على غير صفته لا تستلزم إلا أن يكون هو، فإنه لو رأى الله على وصف يتعالى عنه وهو
يعتقد أن منزّه عن ذلك لا يقدح في رؤيته بل يكون لتلك الرؤيا ضرب من التأويل كما قال
الواسطي: من رأى ربه على صورة شيخ كان إشارة إلى وقار الرائي وغير ذلك.

(٩٢) الضحك يذهب الهية والتبسم سنة:

«كثرة الضحك تميت القلب»، رواه القضاعي عن أبي هريرة مرفوعاً، وللعسكري عن أبي هريرة رفعه: اتق

* حدثنا إبراهيم بن عبدالله، ثنا محمد بن إسحاق، ثنا الحسن بن عبدالعزيز، ثنا أبو حفص عمرو بن أبي سلمة عن الأوزاعي. قال: من أكثر ذكر الموت كفاه اليسير^(٩٣)، ومن علم أن منطقته من عمله قل

المحارم تكن أعبد الناس، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً، ولا تكثر الضحك، فإن كثرة الضحك تميت القلب. ورواه ابن ماجه عن أبي هريرة بلفظ: لا تكثروا الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب، والدليمي عن ابن عمرو مرفوعاً: عليك بصلاة الليل ولوركمة واحدة، فإن صلاة الليل منهية عن الإثم، وتطفيء غضب الرب تبارك وتعالى، وتدفع عن أهلها حر النار يوم القيامة، وإن أبغض الخلق إلى الله تعالى ثلاثة: الرجل يكثر النوم بالنهار، ولم يصل من الليل شيئاً، والرجل يكثر الأكل ولا يسمى الله على طعامه ولا يحمده، والرجل يكثر الضحك من غير عجب، فإن كثرة الضحك تميت القلب، وتورث الفقر. والطبراني وابن لال عن أبي ذر، أن النبي ﷺ قال له يا أبا ذر أوصيك بتقوى الله - الحديث الطويل، وفيه وإياك وكثرة الضحك وعليك بالصمت، زاد في رواية لغيرهما قول جبريل: ما ضحكك منذ خلقت جهنم، وسبق في أكثرها ذكر هادم اللذات أنه ﷺ قاله لقوم مر بهم وهم يضحكون ويمزحون، وسيأتي قول عمر من كثر ضحكك قلت هيئته، وقال عبدالله بن ثعلبة: أتضحك ولعل كفئك قد خرج من عند القصار وأنت لاتدري، وقال يحيى بن أبي كثير: قال سليمان بن داود عليها الصلاة والسلام لابنه: يا بني، لا تكثر الغيرة على أهلك فترمي بالشر من أجلك، وإن كانت برئته، ولا تكثر الضحك، فإن كثرة الضحك تسخف فؤاد الرجل الحليم، وعليك بالخشية، فإنها غاية كل شيء، وعن بشر الحافي أنه قال لرجل ضحك عنده: احذر يا ابن أخي، لا يؤخذك الله على هذا، وقال محمد بن عبدالرحمن بن أبي ليلى في قوله تعالى: ﴿ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها﴾ قال: الصغيرة الضحك، وأوردها كلها البيهقي: ومن كلماتهم الضحك بلا سبب من قلة الأدب: ولبعضهم:

كلما أبديته مباحثة قابلني بالضحك والقهقهة
إن كان ضحك المرء في فقهه فالذئب في الصحراء ما أفقهه

(٩٣) حديث «أكثروا ذكر هادم اللذات الموت».

«أكثروا ذكر هادم اللذات» يعني الموت، وهو بالذات المعجمة والمهمل، وإن قال السهيلي الرواية بالمعجمة، رواه الترمذي، وحسنه والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة مرفوعاً، وابن حبان، والحاكم، وصححاه، وابن السكن، وابن طاهر، وأعله الدار قطني بالإرسال، ولفظه عند العسكري عنه: مر رسول الله ﷺ بمجلس من مجالس الأنصار وهم يمزحون ويضحكون، فقال: أكثروا ذكر هادم اللذات فإنه لم يذكر في كثير إلا قلله، ولا في قليل إلا كثره، ولا في ضيق إلا وسعه، ولا في وسعة إلا ضيقها، ورواه البيهقي عن أبي سعيد الخدري بلفظ: دخل رسول الله ﷺ المسجد فرأى ناساً يكشرون - بالشين المعجمة - أي يضحكون، فقال: لو أكثرتم ذكر هادم اللذات، =

كلامه^(٩٤)، قال أبو حفص: سمعت سعيد بن عبد العزيز يقول: ماجاء الأوزاعي بشيء

الموت، وأنه لم يأت على القبر يوم إلا وهو يقول: أنا بيت الوحدة، وبيت الغربة، أنا بيت التراب، أنا بيت الدود، ولفظه عنه عند العسكري: دخل النبي ﷺ مصلاه فرأى ناسا يكشرون، فقال: فأما إنكم لو أكثرتم ذكر هادم اللذات لشغلكم عما أرى الموت، فأكثرُوا ذكر هادم اللذات، زاد النجم عقب اللذات: الموت، فإنه لم يأت على القبر يوم إلا تكلم فيه فيقول: أنا بيت الغربة، وأنا بيت الوحدة، وأنا بيت التراب، وأنا بيت الدود - الحديث انتهى، وقال رواه الترمذي، وحسنه، والبيهقي عن أبي سعيد، وأخرجه العسكري عن أنس بلفظ: أكثرُوا ذكر الموت، فإنيكم إن ذكرتموه في غنى كثره عليكم، وإن ذكرتموه في ضيق وسعه عليكم، الموت القيامة، إذا مات أحدكم فقد قامت قيامته، يرى ماله من خير وشر، وفي لفظ لأنس عند ابن أبي الدنيا بسند ضعيف جداً: أكثرُوا من ذكر الموت فإنه يمحض الذنوب، ويزهد في الدنيا، وفي لفظ له عند البيهقي: أن النبي ﷺ مر يقوم يضحكون ويمزحون، فقال: أكثرُوا ذكر هادم اللذات، وفي لفظ لابن عمر مرفوعاً عند البيهقي أيضاً: أكثرُوا ذكر هادم اللذات فإنه لا يكون في كثير إلا قلة ولا في قليل إلا كثرة، وروي عن معبد الجهني أنه قال: ذكر الموت يطرد فضول الأمل، ويكف غرَب التمني، ويهون المصائب، ويحول بين القلب وبين الطغيان، ورواه الديلمي عن أبي هريرة بلفظ أكثرُوا ذكر الموت، فما من عبد أكثر ذكره إلا أحيا الله تعالى قلبه، وهون عليه الموت.

كان سيدنا عمر رضي الله عنه يقول: كلُّ يوم يقال: مات فلانٌ وفلان، ولا يَدُّ من يوم يقال فيه: مات عمر، وكان سيدنا علي رضي الله عنه يقول: إذا كنتَ في إِدبار الموتِ في إقبالٍ فما أسرعَ الملتقى. كما في «نهج البلاغة» ٤: ٨٧ وكان الحسن البصري رحمه الله يقول: «إِنَّ آدَمَ إِنَّمَا أَنتَ أَيَّامٌ، كُلَّمَا ذَهَبَ يَوْمٌ ذَهَبَ بَعْضُكَ، كما في ترجمته في «تاريخ الإسلام» للذهبي ٤: ١٠٤ وما أصدق ما قيل:

يَسْرُ الْمَرْءَ مَا ذَهَبَ اللَّيَالِي وَكَانَ ذَاهِبِينَ لَهُ ذَهَابًا!
وَمَنْ أَلْطَفَ مَا قِيلَ فِي تَصْوِيرِ قَصْرِ أَيَّامِ الْعُمَرِ قَوْلَ الْقَائِلِ:
أَذَانُ الْمَرْءِ حِينَ الطُّفْلِ يَأْتِي وَتَأْخِيرُ الصَّلَاةِ إِلَى الْمَاءِ
دَلِيلٌ أَنَّ مَخْبِيأَهُ يَسِيرُ كَمَا بَيْنَ الْأَذَانِ إِلَى الصَّلَاةِ

(٩٤) حديث «من كثر كلامه كثر سقطه».

«من كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه كثر ذنوبه، ومن كثر ذنوبه فالتار أولى به» وفي لفظ: كانت النار أولى به، وسنده ضعيف كما قاله الزين العراقي، رواه الطبراني، وأبو نعيم، والعسكري، وغيرهم، عن ابن عمر رفعه، وقال العسكري: أحسبه وهما، والصواب أنه من قول عمر، وأن الأحنف قال: قال لي عمر: يا أحنف، من كثر ضحكك قالت هيته، ومن مزح استخف به، ومن أكثر من شيء عرف به، ومن كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه، قل حياؤه، ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه، ورواه عن معاوية أنه قال: لو ولد أبو سفيان - يعني والده الخلق كانوا عقلاء فقال له رجل: قد ولدهم من هو خير =

أعجب إلينا من هذا.

* حدثنا أحمد بن علي بن الحارث، ثنا محمد بن علي بن حبيب، ثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري، ثنا بشر بن الوليد^(٩٥). قال: رأيت الأوزاعي كأنه أعمى من الخشوع^(٩٦)، وقال عبدالله بن أحمد عن إبراهيم عن بشر بن صالح، ثنا عبدالله بن محمد بن عثمان الواسطي، ثنا عبدالله بن أبي داود، ثنا أحمد بن أبي الحواري، ثنا أبو مسهر، ثنا محمد بن الأوزاعي. قال قال لي أبي: لو قبلنا من الناس كلما يعطونا لهذا عليهم.

* حدثنا إسحاق بن أحمد، ثنا إبراهيم بن يوسف، ثنا أحمد بن أبي الحواري. قال: بلغني أن نصرانيا أهدى إلى الأوزاعي جرة عسل، فقال له: يا أبا عمرو، تكتب لي إلى والي بعلبك، فقال إن شئت رددت الجرة^(٩٧) وكتبت لك، وإلا

من أبي سفيان فكان فيهم العاقل والأحمق، فقال معاوية من كثرة كلامه كثر سقطه، وفي الباب عن معاذ وغيره، ومنه ما رواه ابن عساكر وقال: غريب الإسناد والمتن عن أبي هريرة بلفظ: من كثرة ضحكك استخف بحقه، ومن كثرت دعابته ذهب جلالته، ومن كثرة مزاحه ذهب وقاره، ومن شرب الماء على الريق ذهب بنصف قوته، ومن كثرة كلامه كثرت خطاياهم، ومن كثرت خطاياهم، فالنار أولى به^(٩٨).

(٩٥) بشر بن الوليد: لم أجده.

(٩٦) قال في لسان العرب - مادة (خشع) ٨ / ٧١.

الخشوع: من خشع يخشع خشوعاً، واختشع وتخشع: رمي ببصره نحو الأرض وغضه وخفض صوته.

خشع: متخشعون. وخشع بصره: انكسر ولا يقال: (اختشع).

قال ذو الرمة:

تجلى السرى عن كل خرق كأنه

صحيفة سيف، طرفه غير خاشع

(٩٧) ليس كل عطية وهدية تقدم للإنسان تقبل، فكم من هدية غلفت وقدمت وهي رشوة، أو سحت حرام ميت للقلب، مانع من قبول الدعاء.

«لأن أهل العلم صانوه ووضعوه عند أهل لسادوا به أهل زمانهم» الحديث رواه ابن ماجه عن ابن عمر موقوفاً، ورواه البيهقي في الشعب عن ابن مسعود من قوله أيضاً: «للفظ لأن أهل العلم صانوا العلم =

قبلت الجرة ولم أكتب لك. قال : فرد الجرة وكتب له ، فوضع عنه ثلاثين دينار.

* حدثنا سليمان بن أحمد، ثنا إبراهيم بن محمد بن عرق الحمصي ، ثنا محمد بن مصطفى، وعمر بن عثمان، قالوا: ثنا عبد الملك بن محمد. قال : كان الأوزاعي

= ووضعوه عند أهله سادوا به أهل زمانهم، ولكن بذلوه لأهل الدنيا، لينالوا من دنياهم، فهانوا على أهلها. سمعت نبيكم ﷺ يقول: «من جعل لهم همأً واحداً هم آخرته، كفاه الله عز وجل ما هم به من أمر دنياه، ومن تشعبت به الهوم من أحوال الدنيا لم يبال الله في أي أوديتها هلك. ومعناه في أبيات الجرجاني الشهيرة قال فيها:

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم
ولو عظموه في النفوس لعظمها
ولكن أهانوه فهان ودنسوا
محياه بالأطماع حتى تصرمها

«هدايا المال غلول» رواه أحمد، وابن ماجه، عن أبي حميد الساعدي به، وعند أبي يعلى عن حذيفة: هدايا المال حرام كلها، ولابن عساكر عن عبد الله ابن سعد هدايا السلطان سحت وغلول، ورواه الطبراني عن ابن عباس بلفظ: الهدية إلى الإمام غلول، ولعبد الرزاق عن جابر هدايا الأمراء سحت.

ليس بحكيم من لا يعاشر بالمعروف من لا يجد له من معاشرته بدأ، حتى يجعل الله له من ذلك مخرجاً رواه الحاكم. ومن طريقه الديلمي عن محمد ابن الحنفية رفعه مرسلًا، ورواه الحسن بن عرفة في جزئه عن ابن المبارك موقوفًا، ورواه الخطابي وأبو الشيخ من طريق ابن عرفة، وأورده الحكيم الترمذي. ومن طريقه الديلمي عن ابن المبارك. وزاد قال ابن المبارك لما سمعت هذا الحديث صمت ذلك اليوم، وتصدقت بدینار، ولولاه ما جمعتي ﷺ وإياكم على حديث. قال الحافظ والموقوف هو المعروف. وما أحسن قول المتنبي:

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى
عدواً له ما من صداقته بدّ

وقبل هذا البيت:

لك الحمد أما ما نحب فلا نرى
وننظر ما لا نشتهي فلك الحمد
وما أحسن قول البربرني مضمنا:
أصادق أعدائي لأمر مقدر
وفي القلب نار لا يخف لها وقد
ومن نكد الدنيا - البيت ...

لا يكلم أحداً بعد صلاة الفجر حتى يذكر الله ، فإن كلمه أحد أجابه .

* حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن ، ثنا بشر بن موسى ، ثنا معاوية بن عمرو ، ثنا أبو إسحاق الفزاري^(٩٨) . قال : قال الأوزاعي : اصبر نفسك على السنة ، وقف حيث وقف القوم ، وقل بيا قالوا ، وكف عما كفوا عنه ، واسلك سبيل سلفك الصالح ؛ فإنه يسلك ما وسعهم . ولا يستقيم الإيمان إلا بالقول ، ولا يستقيم القول إلا بالعمل ، ولا يستقيم الإيمان والقول والعمل إلا بالنية موافقة للسنة . وكان من مضى من سلفنا لا يفرقون بين الإيمان والعمل ، العمل من الإيمان ، والإيمان من العمل ، وإنما الإيمان اسم جامع كما يجمع هذه الأديان اسمها ، ويصدق العمل ، فمن آمن بلسانه وعرف بقلبه وصدق ذلك بعمله فذلك^(٩٩) العروة الوثقى التي لا انفصام لها ، ومن قال بلسانه ، ولم

(٩٨) أحمد بن أبي الخوارى : هو عبدالله بن ميمون التقريب ١ / ١٤

(٩٩) قال في الطحاوية وشرحها ص ٣٧٤ .

قوله : (والإيمان : هو الإقرار باللسان ، والتصديق بالجنان ، وجميع ما صح عن رسول الله ﷺ من الشرع والبيان : كله حق . والإيمان واحد ، وأهله في أصله سواء ، والتفاضل بينهم بالخشية والتقى ، ومخالفة الهوى ، وملازمة الأولى) .

اختلف الناس فيما يقع عليه اسم الإيمان ، اختلافاً كثيراً : فذهب مالك والشافعي وأحمد والأوزاعي وإسحق بن راهوية وسائر أهل الحديث ، وأهل المدينة رحمهم الله ، وأهل الظاهر وجاعة من المتكلمين : إلى أنه تصديق بالجنان ، وإقرار باللسان ، وعمل بالأركان . وذهب كثير من أصحابنا إلى ما ذكره الطحاوي رحمه الله : أنه الإقرار باللسان ، والتصديق بالجنان . ومنهم من يقول : إن الإقرار باللسان ركن زائد ليس بأصلي ، وإلى هذا ذهب أبو منصور الماتريدي رحمه الله ، ويروى عن أبي حنيفة رضي الله عنه . وذهب الكرامية إلى أن الإيمان : هو الإقرار باللسان فقط ! فالمتناقض عندهم مؤمنون كاملو الإيمان ، ولكنهم يقولون : بأنهم يستحقون الوعيد الذي أوعدهم الله به ! وقولهم ظاهر الفساد . وذهب الجهم بن صفوان ، وأبو الحسن الصالحى أحد رؤساء القدرية : إلى أن الإيمان هو المعرفة بالقلب ! وهذا القول أظهر فساداً مما قبله ! فإن لازمه أن فرعون وقومه كانوا مؤمنين ، فإنهم عرفوا صدق موسى وهارون عليها الصلاة والسلام ، ولم يؤمنوا بها ، ولهذا قال موسى لفرعون : ﴿لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر﴾ الإسراء : ١٠٢ وقال تعالى :

﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً . فانظر كيف كان عقوبة المفسدين﴾ النمل : ١٤ .
وأهل الكتاب كانوا يعرفون النبي ﷺ كما يعرفون أبناءهم ، ولم يكونوا مؤمنين به ، بل كافرين =

يعرف بقلبه، ولم يصدقه بعمله، لم يقبل منه، وكان في الآخرة من الخاسرين. قال الشيخ رحمه الله: الأوزاعي يكثر كلامه ومواعظه^(١٠٠) ورسائله، وهو أحد أئمة الدين وأعلام الإسلام أقتصرنا من أخباره على ما ذكرنا.

به، معادين له، وكذلك أبو طالب عنده يكون مؤمناً، فإنه قال:

ولقد علمتُ بأن دين محمد من خير أديان البرية ديناً
لولا الملامة أو حذار مسبة لو جدتني سمحاً بذلك مُبيناً

بل إبليس يكون عند الجهم مؤمناً كامل الإيمان! فإنه لم يجهل ربه، بل هو عارف به، **﴿قال: رب فأنظريني إلى يوم يبعثون﴾** الحجر: ٣٦. **﴿قال: رب بما أغويتني﴾** الحجر: ٣٩. **﴿قال: فبعزتك لأغوينهم أجمعين﴾** ص ٨٢. والكفر عند الجهم هو الجهل بالرب تعالى، ولا أحد أجهل منه بربه! فإنه جعله الوجود المطلق، وسلب عنه جميع صفاته، ولا جهل أكبر من هذا، فيكون كافراً بشهادته على نفسه! وبين هذه المذاهب مذاهب أخرى، بتفاصيل وقبود، أعرضت عن ذكرها اختصاراً، ذكر هذه المذاهب أبو المعين النسبي في «تبصرة الأدلة» وغيره.

وحاصل الكل - رجع - إلى أن الإيمان: إما أن يكون ما يقوم بالقلب واللسان وسائر الجوارح، كما ذهب إليه جمهور السلف من الأئمة الثلاثة وغيرهم رحمهم الله، كما تقدم، أو بالقلب واللسان دون الجوارح، كما ذكره الطحاوي عن أبي حنيفة وأصحابه رحمهم الله. أو باللسان وحده، كما تقدم ذكره عن الكرامية. أو بالقلب وحده، وهو إما المعرفة، كما قاله الجهم، أو التصديق كما قاله أبو منصور الماتريدي رحمه الله. وفساد قول الكرامية والجهم بن صفوان ظاهر والاختلاف الذي بين أبي حنيفة والأئمة الباقيين من أهل السنة - اختلاف صوري. فإن كون أعمال الجوارح لازمة لإيمان القلب، أو جزءاً من الإيمان، مع الاتفاق على أن مرتكب الكبيرة لا يخرج من الإيمان، بل هو في مشيئة الله إن شاء عذبه، وإن شاء عفا عنه - نزاع لفظي، لا يترتب عليه فساد اعتقاد.

(١٠٠) وكما قال الحافظ أبو نعيم: الأوزاعي تكثر مواعظه، وفيما ذكر شفاء ودواء لمن في قلبه دغل، ومرض، وهي موعظة تكتب ياء العيون، ولا يستغني: عن مداومة النظر فيها وأخذ العبر منها، إلا شقي محروم، وهي نافعة للولادة والقضاة ومن له وظيفة بالحكم والفصل بين الناس في المحصومات ونحوها.